۳۷
۹۳۷
کتابخانه دانشکده الهیات و معارف اسلامی مشهد
شماره ۱۴۷۸۷ تاریخ

فطرته اشارة الواصل الى مقام الاستغراق فى الوحدة الجمعية يحجبه
التفاته الى العلم الحاصل من المشاعر عن خالقه هذا هو المعنى بكون العلم
حجابا اشارة اذا رايت انطماس جميع التعينات الحسية والعقلية وغيرها
فى الوهبة الغيبية المسماة بهو عند العروج وسلخ المناسبات والتعينات
والاضراب عن الاعتبار كانبساطها عند الاعتبار اشارة او لعلك تزعم
انك تثبت كيفية عالم الغيب والشهادة والدنيا والاخرة وتنزيل الحقيقة
الغيبية من الغيب ان لا تعين وكيف وشدة ظهور المدركات تمنع الادراك
لاستلزام الظلمة كاستلزام الشمس الظلمة عند الرؤية وعلمت التعين الاولى
المندمج فيه كليات المتعينات ولم يسم بالتعين الفردى وكلى الكليات و علمت
ما التعينات الكلية واحاطتها بما لا يتناهى من الجزئية واعلم ان الاسم
الاعظم لا يكون الا معنيتنا خاتم الانبياء وعلمت كونه نبيا وادم بين الماء والطين
وعلمت من جمعيته قوله عليه السلام اوتيت جوامع الكلم اشارة لما لم يكن فرق
بين الظهور والوجود اذ الظهور وجودى وهو عين الوجود اذ ما عدا الوجود عدم
او عدمى ولا فرق بين العدم والعدمى ولا واسطة بين الوجود والعدم والبطون
عدمى اذ هو عدم الظهور كان كل باطن ومحجوب عند عامة الخلق هو الخلق وكلما
هو ظاهر هو الحق عندهم لا الخلق لكون المخلوقية والمحجوبية من صفات الخلق لا
الحق اذ هو عين الظهور والخلق البطون اشارة حقيقة الوجود تقتضى

معنى م

مطلق

مطلق الوجود ولا يقارنه العدم لمحالية اجتماع الضدين ووجود الممكن بعلية
لا تخرجه عن امكانه الذاتى لمحالية انقلاب الحقائق والوجود العارض لذا
ليس لذاته فهو باق على ما هو عليه فى حد ذاته واذا وجب للممكن ما وجب وجب
ان يكون واجب الوجود الحق باق على صرافة وجوبه الذاتى ووحدته
المطلقة من غير تبدل وتغير فيه باعتبار الموجودات الاعتبارية كان الله
ولا شئ معه وتعدد الطرق والحركات على وفق تعدد التعينات الغير المتناهية
استلزم تحركات الجذب وسلوك الجاذب على خط مستقيم وصراط قويم المستلزم
للشوق والمحبة والارادة الموجبة للحركة بالطوع المستلزمة للتوجه نحو القصد
بعد المعرفة والهداية الفطرية التى فطر الناس عليها ولما كان الشوق
المذكور بسبب البعد الوهمى بحجاب التعين العدمى كان مقتضيا للجذب والا
لعبا فى العبث اشارة واجب الوجود لذاته لا جنس ولا فصل له فلا حد
ولا ضد ولا ند له ولا مقوم ولا عوارض ولا موضوع له ولا يتغير فى وجه
ولا وجود ولا ينضبط الشاهد فى مشهود المحيط بكل حرف فالكمال المستوعب
كل وصف لا يتنزه عما هو ثابت له ولا يحتجب عنا ابدا لتكمل حجابه وعزه وغناه
وقدسه عبارة عن امتيازه حقيقته عن كل شئ بصفاتها وعن عدم تعلقه
بشئ وعدم احتياجه فى ثبوت وجوده او بقائه الى غيره ولا تحقق لشئ
بنفسه ولا شئ الا به لا تدركه سبحانه العقول والافكار ولا تحويه الجهات وا

فطرة الله

والا لم تكن علمية وتعقلت المعنى الكلي على وجه تشترك فيه كثيرون يوجب الا
يكون مقدرا بمقادير الطائفة الصغير والكبير فيكون محله منك غير متقدر وهو
نفسك الناطقة لعدم حلول ما لا يتقدر في جسم فانت وراء هذه البنية
واجزائها واذا لم تكن متعدده لم تقع الاشارة الحسية نحوها لتنزهها عن الجهه
فهي لا داخله ولا خارجه العالم ولا متصله ولا منفصله لعروض هذه الكيفيات
للاجسام وهي مدبره عالم الخلق وسارية فيه باعتبار سريان الروح الحيواني
لكونه المركب الاول لتعلق النفس ومظنة تصرفاتها ودوام تصرفها بدوام بقا
سريانه به ولما تفطن بعض الناس لها غير جسم ولا جسماني توهموا انها
الباري سبحانه وقد ضلوا ضلالا بعيدا وخسروا خسرانا مبينا فان الله
سبحانه واحد والنفوس كثيرة والا لادرك زيد ما ادركه عمرو واطلع كل واحد
على ما اطلع عليه الاخر وكيف تسخرت للبدن والاته للالهه وتقهره
ويصير رهين شهوات وبعض انها جزء منه وهو زعم اختصاص الجزء
بالمركب وهو واجب وتوهموا ما سمعوا من ضرب الامثال مما لم يحيطوا به علما
رخصا في ترك الظواهر واعتقاد بطلانها حتى انهم يقولون لم يكن مع موسى
نعلان ولم يسمع الخطاب بقوله فاخلع نعليك حاش لله ان يكون كما
توهموا ولا والله ليس كما فهموا فانهم لم يعرفوا الموازنه بين العالمين ولم
يحيطوا بتطابق الكونين فالذي تجرد الظاهر حشوي والباطن باطني

فان ارطان الظواهر واي الباطنيه الذين بالعين الواحده العورا
لاحد العالمين بل فهم موسى عليه السلم من خلع النعلين اطراح الكونين
فامتثل الامر ظاهرا بخلع نعليه وباطنا باطراح العالمين واليه الاشاره
بقول سيد الاولياء ما عبدتك خوفا من نارك ولا شوقا الى جنتك بل
وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك ويرى بعض الاباحه والالحاد اذا سمع قول
النبي صلى الله عليه واله لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة فتعين الطلب
في البيت ويقول ليس المراد من الكلب صاحبا بل المراد تخلية بيت الكلب عن كلب
الغضب لانه يمنع المعرفة التي هي من انوار الملائكة وفرق بين هذا وبين من يمثل
الامر ظاهرا ويقول ليس الكلب كلبا لصورته بل لمعناه وهو لا سبعه والصورة
فاذا كان حفظ البيت الذي هو مقر الشخص البدني ولما كان حفظ البيت الذي
هو مقر الجوهر النفيس الخاص عن شركاء الكلبيه اولى فالجامع بين الامتثال الا
ظاهرا وباطنا هو الكامل وهذا هو المعنى بقولهم الكامل من لا يطفي نور — الشرع
معرفته نور ورعه ولذلك راى الكامل لا يسع تترك حد حد ودقيق [illegible] كمال — نفس من
صيرته وهذه مزلقه ومغلطه مهلكه وقع كثير من السالكين بزعمهم في
الاباحه والالحاد وطي بساط الاحكام ظاهرا بسببها حتى انهم ربما تركوا الصلاة — الاتحاد
وزعموا انهم دائمون في الصلوة سرهم وليس هذا اسوا اغلاط الحمقاء من
الاباحية الذين ما خذهم الزيادة كقول بعضهم ان الله غني عن علمنا وعمل
وانتم بالخوان الطريقة من غير نسب ومفارق اهلهم من غير سبب لحدا

من اكمل انبياء الله واوليائه وامناء الرب واوصيائه سمحت نفسه بالميل الى
غيره من المظاهر اما ما كان من سيد الكونين ومرآة الثقلين هو المبعوث الى
بالشرايع المحمدية والاحكام الظاهرة الالهية ليامرنا بفعل الارجح والاولى تركه
كيف وكان تبليغ الاوامر والنواهي وارده كلا ابل الخطا تمام الطريق وخاتمه ومما
هو السبب والمنبع لشبهة اهل الحلول انه اذا كملت صقالة مرآة القلب عن طبع النفس
وهواها وشهوتها كما حكى ابرهيم عن نفسه عند استخلاص قلبه عن الالتفات
الى الكواكب والاكوان بقلبه وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض اشرقت
بنور الحق فحينئذ يظهر سلطانه بان الحق عند ذلك فيحجب القلب دون الحق فيظن
الجاهل ويتوهم انه سبحانه حل في قلبه وباطنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فان
المرآة المصقولة اذا حاذت جرم الشمس لا محالة فلا يكون النور المنطبع فيها نفس
الشمس وان كانت سطوته اشد تاثيرا من جرم الشمس فان الشمس نفسها لا تحرق
القطن وعكس شعاعها ربما يحرقه فيشتعل منه النار فكذلك نور الصفات
او الذات اذا ظهر في مرآة القلب لا يكون الصفات او الذات فيقع المشتبه بالسالك
في الكفر وتيه الضلال ومنه اذا انتهى المريد الى تجلي صفات الروح يبتلي باشباه
اخرها المكالمة فيظهر لشرف مكالمة الروح فيظن انه مكالمة الحق فيتزلزل قدم
بعد ثبوتها والعقل ورهينا المقام كثير ومنه تجلي الروح في صفة المربوبية
لربوبية فيظن انه الحق فيقع في مغاور الهلاك ولا يتخلص من هذه الورطة
الا بتاييد الهي والا فربما ادى الحال الى نفي الصانع وادعاء الربوبية كقوله انا ربكم

العالمين — ما — هو — لشرف

اغتر

الا على وربما استغنى السالك بهذه المهالك بقوله من نعران اسرار الطريقة
تخالف الشريعة محتجا بوقايع موسى والخضر عليهما السلام فان نبينا الخاتم صلى الله
عليه وآله قد اختص بصفات كمالية لم توجد لموسى عليه السلام والخضر من كون نبيا
كبعثته الى الكافة واختصاص موسى بفرعون وهامان وقومهما وكونه خاتم
المرسلين ونسخت شريعته الشرايع كلها فانطوت اسرار الطريقة باسرها
على وفق الشريعة المحمدية ولنرجع الى ما كنا بصدده اشارة انظر الى قيام الكثرة
بالوحدة التي هي مفهومها واحاطتها بمجموع مراتب الكثرات كالاجناس والانواع
والفصول فباطنها الكثرة وظاهرها الوحدة فالكثرة امر اعتباري وظهور الكثرة
في الوحدة انما هو بحسب ثبات الاجزاء وموافقتها المسماة بالاعتدال وحدث
القلوب بسبب خفاء وجه الكثرة العدمية وظهور الوحدة ولما كان مبدأ الكثرة
ومنتهاها الوحدة تكون نهاية الرتب على الاستخلاص ونهاية الاخلاص على التخصص
الواحد المتحد بالكمالات كالفصول الجوهرية والمميزات العرضية كالعلم والنطق
والقدرة وكمال الكل كان للشخص الذي هو مدار الكمالات ومنبع الحقايق من الكاينات
فمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله فانه لما كان في غاية القرب من الله تعالى
مبدأ الصدور والاعجاز وخرق العادات بالقدرة والتاثير في النفوس بالعلم
والحكمة وكمال النطق بظهور الكمال الالهي وبكمالية احاطته بمجموع مراتب الكمال
بعث في اخر الزمان فهو النقطة الاخيرة من الدائرة المتصلة بالاولى بل عينها

المسالك — مبدأ — مناسبة — المحيط — الكلام

سيد المرسلين فنسبة خاتم الولاية الى خاتم الرسالة كنسبة الانبياء اليه
فهو الولي باعتبار الانبياء عن الغيوب وخاتم الاولياء باعتبار الباطن
فباطن خاتم الاولياء باطن خاتم الرسل الوارث عليه السلام من خاتم الرسالة له
شرايعه واحكامه الآخذ من الاصل بلا واسطة مع انه حسنة من حسنات
سيد المرسلين خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وآله مقدم الجماعة ودوام
قيامه في مقام الرسل له ظاهرا بالشريعة مانعا من ظهور ولايته بالاحدية
الجامعية للاسماء كلها فولايته باطنه حتى يظهر في الخاتم الولاية الوارث منه
ظاهر النبوة وباطن الولاية فعلم انه مقدم جماعة الانبياء والاولياء وسيد
ولد آدم فمن فتح باب الشفاعة من ظهور الكليات وغاية اجتماع الاجناس
والانواع هو النوع الاخير وهو الانسان الذي معه معترك مجامع الكمالات
والعام وان كان اقرب الى المبداء الكلي ليحرج بتجرده اما ان الخاص اقرب من
حيث الحقيقة والهيئة الاجتماعية ولكونه معينا للعام فانظر الى فردية
الانسان وجامعيته اذ هو واحد بالانسانية كثير بالافراد والتعينات
خلقكم من نفس واحدة ولما كان شرف الانسان بظهور كمال القدرة والعلم
واحدية الجمع اقتضى ذلك التكليف واذا انتهى الفيض المنزل من احديته
الهوية الى حاق الوسط وجب العروج وانتهى الرتبة الى غاياتها مقتضى
للبعثة وتكميل النفوس الناقصة ودعوتها الى المبداء والمعاد بيانا

الرسول

الرسول بلغ وبها حكمة ظهور التكليف وزوال التبدل وعجز العبد واضطراره والتجا
الى مبدا المبادى ابراز حصة العبودية **خاتمة** لا تظنن ان المرتبة
الكلية الجامعة لامهات المراتب متعددة وان الموصوف بها متعدد
لمعرفتك لما تبين اجتماع الامثال فالمحيط بمجموع مراتب الكمالات هو محمد
بن عبد الله صلى الله عليه وآله فان الخاتم للنبوة والشريعة والولاية
المطلقة فهو خاتم الانبياء والاولياء من حيث هو ظاهره وباطنه ودوام
قيامه بتبليغ الاحكام الشرعية ظاهرا انما يبعد عن ابرازها في باطنه
من الولاية وعلي عليه السلام هو الوارث منه باطنه فباطن علي بالوراثة
من محمد وباطن محمد بالاصالة وكما هو ورث باطن محمد ورث ظاهره ايضا
وهي شرايعه واحكامه وهكذا اورث هو وارث الى المهدي الخاتم
للعلوم الارثية فعلي عليه السلام اول وارث برز بولاية النبي الخاتم وكيف يعقل
التساوي من كل وجه ورتبة الولاية الخاتمة للرسالة بالاصالة فالبارز
بها للوراثة مع قوله اولا انه الخاتم للرسالة بالاصالة فالبارز بها ما بينا
من حيث قتلك يا رسول الله ومع ان المهدي حسنة من حسنات محمد وقوله
صلى الله عليه وآله آدم فمن دونه تحت لوائي يوم القيامة وكفى بقوله الحق تعظيما
لولاك ما خلقت الافلاك لا يجوز ان يعرف الولي الوارث من تجار علوم المورد
الله بيد در المخصة لا يطلع عليها النبي المبعوث الى طائفة مخصوصة ولا

خاتم

اي

يوجب هذا ترجيح مقام الولي على النبي الخاتم صلى الله عليه وآله مثل
هذا فان شريعته العامة قد حوت الطرق كلها وهذا اجمال
شبهة فيه عند الناقد البصير بعين الهداية ختم ونصيحة
قد اشرنا بالاشارات الى كنوز الحقايق وبنا التنبيهات على حقايق الدقا
فان احللت بالعناية الربانية ملغزها وفتحت بالهداية الالهية مغلقها
كنت صاحب المقام الجمعي والتوحيد الذاتي والطاير في فضا الملكوت
وصاحب السياحة المعنوية في بحار حقايق اللاهوت فاشكر ربك
على ما اسبغ عليك من النعم واقتد بسيد الكونين ومرآة الثقلين العالمين
عليه من الصلوة اركيها ومن التحية انماها لا تؤتوا الحكمة غير اهلها
فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم وعليك بكتم الاسرار
لاعتبار واياك والاغترار بظواهر الآثار فان وجدت من استقام
على سنن الحق طريقته وحمدت من خواص الخلق سيرته فانه مما اتاك
الله من فضله واسلك به طريق الحق كما هداك من قبله وعاهده
بالله العلي العظيم الفعال الدراك ليجري فيما اوضحناه مجراك فان اضعت
او صحبه اليك فالله بيني وبينك وكفى به شهيدا ولكن
هذا اخر ما اردنا ابرازه ونهاية ما قصدنا اظهاره والحمد لله رب
العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلم تسليما كثيرا

قد وقع الفراغ والتمام من نسق هذه المقالة المعقودة في علم
الكلام اصيل يوم الثلثا العاشر من ذي العقدة
سنة الخامسة والسبعين بعد الالف
الحمد لله حق حمده وصلى الله
على محمد وآله وصحبه

وهو اول انبساط ظل الوجود العيني وثانيها مرتبة عالم الملكوت المعبر عنه بالنفوس
التي هي كالابدان للعقول لانها تستفيض من العقول وتفيض على ما تحتها من
المرتبة اللاتي تفصلها ورابعها مرتبة عالم الخيال المطلق المسمى بالبرزخ بين العالم
العلوي والسفلي وقد اشار اليه سيد الكونين صلى الله عليه وآله بقوله ان نسبة
الاجسام الى عالم البرزخ كحلقة في فلاة لا نهاية لها وكذلك نسبة عالم الخيال الى
ما فوقه من العالم المقدم ذكرها فانه كالحلقة في الفلاة بالنسبة اليها وخامسها
مرتبة عالم الملك المسمى بعالم الشهادة وعالم الاجسام ثم ان كل مرتبة من هذه
المراتب على طبقات متفاوتة لا نهاية لها ولا يمكن حصرها وتعدادها للكمل من الانبياء
والاولياء بل مع قوة هؤلاء العظام المتصرفين في العوالم لم يمكنهم ادراك جميع جزئيات
هذه العوالم المذكورة لعدم ضبط عددها وحصرها كيف يمكن ذلك وقد قال سيد
الكل في دعائه [illegible] وباسمائك التي استاثرت بها في علم غيبك
وقد ظهر مما ذكر ان تفاصيل مراتب طبقات الوجود المنبسط لا يمكن الاطلاع على
جملتها الا على سبيل الاجمال ولكن تقبل السعة والضيق بها واجمال ما فصل من المراتب
ينضبط في عالمين عالم اكبر وعالم اصغر فالعالم الاكبر هو الجامع لجميع ما ذكر من
المراتب على اختلاف طبقاتها فهي في الحقيقة كالشيء الواحد لاحاطة جسم واحد
المعبر عنه بالعرش والاطلس وسقف الرحمن وسقف الجنة والمحيط والمحدد ولكن
يتوهم متوهم ان احاطة المحدد والعوالم العالية السابق ذكرها احاطة الظرف بالمظروف

والقا

وانها من حيث تجردها غير متحيزة بل انما هو ما في جوف من الاجسام العنصرية
محال ان تنصرف تلك الانوار القاهرة وهو المعنى بقيدها متى شاءت واراد الظهور
الحسي كاتيان جبرئيل عليه السلم الى النبي صلى الله عليه وآله ببعض الصور الحسية
والعالم الاصغر هو الانسان الموازي المحاذي للعالم الاكبر لجميع ما في الارض
من صور هي في الاصغر معنى وتفصيل المحاذاة مما ليس هذا موضع ذكره
فمن اراد الوقوف على تفصيله فعليه بمطالعة البحر الخضم فانه قد فصل فيه جميع
قوى البدن واجزائها وقوى العناصر واجزائها المعلومة من علم الهيئة وبين على
صحة المحاذاة بينهما قول علي عليه السلم دواؤك فيك وما تبصر وداؤك منك وما
تشعر اتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر فحاصل البحث يرجع الى
ان الذات المقدسة المنزهة عن شائبة الكثرة منظورة ومتجلية من تحت براقع حجبها
المسماة بالاسماء التي لا يمكن رفعها اصلا كما ان الاسماء مستورة بحلل اثارها على
طبقات اختلافها فما حصل من تفصيل العبارات المختلفة لا يخرج عما ذكر بل لا يحيط ببعض
مراتب اثار تلك الاسماء لعدم احاطة المتناهي بما لا يتناهى وغير ما اشير اليه
سابقا ولاحقا انما هو الاعتراف بالعجز والذلة والمسكنة والابتهال والسؤال
من حضرة ذي الجلال والجمال بالخضوع والخشوع حتى يحصل نظرة تغني عن الجدال المفضي
الى القيل والقال المشار اليه بقول سلطان الاولياء العجز [illegible] انما يكون
ولكن العجز المحمود انما هو بعد الاطلاع على العوالم وتفاصيلها والعجز انما هو نتيجة

التحير والحيرة المطلقة تنقسم الى حيرة الضلال والجهل وهذه الحيرة انما تكون
قبل سعي المكلف في تفسير ما خوطب به نعوذ بالله منها والى حيرة الهداية و
انما تكون بعد الاطلاع على جميع العوالم المشار اليها بقوله سيد الرسل في دعا
رب زدني فيك تحيرا وفي هذا تذكرة لاولي الالباب **قوله** تجليات ذاتك
الخ المراد بتجليات الذات هي اسماؤها الجمالية مثالا في النور وانما يظهر باعتبا
اسمائه الجمالية كما ان القهر والسبي يظهر على الاثار باعتبار اثار الجلالية و
سطور مسطور ان اسماء الجمال خالية من الغضب والقهر وان اسماء الجلال خالية من
اللطف والرحمة بل اللطف والرحمة كامنة في الجلالية وكذا القهر والغضب كامن في
الجمالية ما دامت السلطنة لذلك الامر ظاهرة فان كل اسم من اسماء الحق متضمن
لكل معنى من المعاني المتضادة ظاهرا لان الاسم غير المسمى ويدل على ذلك
قوله تعالى سبحان من جعل رحمته مستورة في عين غضبه وجعل غضبه مستورا
في عين رحمته فاشراق نور التجليات عبارة عن الرقيقة التي بين النسبة بين الاسم
واثره المعبر عنه بالقابلية الحاصلة من كل متأثر ولما كان قبول النشاة الانسانية
اتم من سائر القوابل كان المدد الواصل اليه في اعلى مراتب الكمال فانقاد ما
سواه له ومواطن تجليات الوسم انما هي المعاني الجزئية القائمة بالصور المحسوسة
فمعرفة الوسم لتلك المعاني صحتها متوقفة على صحة ادراك الحمس الحواس الظاهرة
المودية ما اقتضته من عالم الحس اليه وبهكذا معرفة تلك الملكة الانسانية

المسمى

المسمى بالقلب للجزئيات الواصلة اليه من سكينة وخدمته فحين وصولها اليه
بالطريق المذكور لا يدركها الا مجردة عن الاين والحلول لان المجرد من حيث
هو مجرد لا يدرك الا مجردا فالجزئي يصير مجردا كليا عند وصوله الى مقره ولنورد له مثالا
وهو ان المخاطب اذا اراد ان يفيد مخاطبه معنى من المعاني الكلية فلا بد ان يا
تي بشي من اسماء النفس ماد امتمازه متفاوتة حتى ينتهي الى الحس منه حاملة مجالي الصور
الكلمات فاذا القى الى المخاطب ادركه بحاسة السمع فبعد الادراك انتزع الانسلاخ
ما البس من الصور والقيود الكاملة مار بالجبال وما بعده من الحواس الباطنة فينتهي
الى القلب لرسته الا مجردا منا الجبار الذي قدس بها فانفاق النورين اغلى البصر وا
لبصيرة شرط في صحة الادراك وبهذا الاعتبار لانتساب البحر فلهذه العلة بسط الشيخ
قدس سره جناح الذل والعجز وقال ولا تعامل عالما اعمال الذنوب بعد لك
فالعمال التي هي الحواس صحة علمها يتوقف على معرفة المستعمل لها ولا يتم ذلك
الا بالاطلاع على طبقات مراتب الوجود وبهذا انما يعجز عنه القوى البشرية وتجديد
لا بد من سوال ذي الجود العميم ان لا يواخذنا بما كسبنا من الذنوب انه هو الغفور
الرحيم **قوله** اشارات في الوجود الخ اعلم ايدك الله انما المعرف يجب ان يكون اجلى
واظهر من المعرف ولما كان الوجود اظهر من كل شي احتجت ماهية حقيقة الوجود
الى ارادة تعريفه لان كل امر اذا انتهى الى غاية حده انعكس ضده ولا شك ان اظهر
مراتب الوجود الحسي فاذا اريد ان تعرف الوجود فلا بد ان تعرف ببعض مظاهره

لسبب نيتي وخدمتي

ومادتها والافلاك تسعه والعناصر اربعه والماده واحد فالمجموع اربعة عشر
وكل واحد منها لابد له من نفس قائمة به وتسمى باصطلاح الشرع ملكا
وباصطلاح الحكيم نوعا فصار الجميع ثمانية وعشرين حرفا وتقابلها في الانسان
الحروف الرقمية التي هي الثمانية والعشرون حرفا لانها اصل الكلمات الانسانية كما ان
تلك اصل الكلمات الرحمانية الربانية قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان
تنفد كلمات ربي وبعض يسمون العين الثابتة من حيث هي هي مع قطع
النظر عما يلحقها من اللوازم والملزومات حرفا عينيا ومع ملاحظة الاسم الظاهر وا
ضافة النظر اليه كلمة شهادية وغيبية وكل يصطلح على ما يناسب مقامه
فالهيمان المعنى به اذا اشرق على عبارات هؤلاء القوم اشراق الشمس على
الاحساء يجد المعنى واحدا والاختلاف انما هو بصور الالفاظ فهي كالطرق
الموصلة الى مقصد واحد كما قال علي عليه السلام الطرق الى الله بعدد انفاس الخلائق
قوله ما عرفناك حق معرفتك فاذا كان مثل سيد الكونين قد تحير في كنه
شئ الوجود وبسطه على الشيوئات العدمية فما عداه بالطريق الاولى وذلك
انما هو لعلو المقام في نفسه وهذا من العلم الذي لم يطلع عليه احد من البشر
والاطلاع الحاصل للشعراء انما هو على لوازم الاشياء فان الاطلاع على كنهها ونفسها
غير ممكن لما عدا الحق ومنه هي الحيرة المحمودة فان الماهية الحقيقية واسطه بين
وجودها الخاص وعدمها الخاص الطارئين عليها على سبيل البدلية فان مادتها

وشكلها

في

وشكلها غير وصفها الوجودي والعدمي وان قلنا طارئين عليها لانها
كل مقام من تنزلاتها تتصف بغير ما اتصف به في المنزل الاخر لان وجودها
الحسي غير الخيالي وكذا الخيالي بالنسبة الى ما فوقه فهي موجودة في منزل
ومعدومة في اخر كما تقول زيد في المسجد زيد ليس في السوق فدل على ان
الامور الطارئة انما تلزم الذات باعتبار الحالات والتقييدات وكذا الوجود
والعدميات مستحيل المنزه بذاته وصفاته عن سائر المخلوقات قوله وظهوره في
الضدين والمثلين والمختلفين يشعر انه مغاير للكل لان الصفة اذا كانت ذاتية
للموصوف استحال زوالها لعدم الانفكاك الذاتي فلا يمكن اتصافه بغيرها
من تلك الحيثية بخلاف الذات اذا كانت مجردة عن جميع الاوصاف فحينئذ نسبة
الكل اليها نسبة واحدة فيتاتى لها الاتصاف بالاضداد والامثال وغيرها لما
قلناه من التجرد فان الحيوان من حيث هو هو ليس بناطق ولا ناعق وانما يلزمه
النطق وغيره باعتبار حالاته التي تتقيد به مع انه بعيد بالنسبة الى ما فوقه من
الاجناس بل الاجناس على اختلاف مراتبها متقيدة بالنسبة الى الشامل لها المسمى
بجنس الاجناس وهذا اكمل من بعض معتقدات حكماء المحجوبين عن فهم البسيط
المركب والواحد الكثير والمنفصل المتصل والحد المقيد الى غير ذلك من الاوصاف
الطارئة عليه انه واذا كان الامر كذلك لم يقدح تلك الكثرة الملاحظة في صرافة
وحدته وسراحته كما قيل العين واحدة والحكم مختلف وذلك سر لاهل

عليه
العلم ينكشف **قوله** وهاهنا وحدة لا تقابل الكثرة لابد من معرفة اصل يعتمد
في هذا الباب تزل فيه من زلة الاقدام فان الفرق بين الوحدة والكثرة في المراتب
العالية المجرده غير واضح للعقول فنقول اصل مراتب الظهور والبطون والوحدة
والكثرة مرتبة الاحدية المسماه بغيب الهوية وغيب الغيوب فليس لها الا
حيثية واحدة هي الاضافة خاصة بخلاف باقي المراتب التي في ظلها وظل هذه
المرتبة بلا فصل هي المرتبة الواحدية وظل الواحدية المرتبة الاسمائية حضرة
الاعيان الثابتة وظل الاعيان حضرة العقول وظلها حضرة النفوس وظلها
مرتبة عالم الخيال وظلها مرتبة عالم الاجسام وظلها الاعراض وليس للاعراض
مظهر وظل كما انه ليس للمرتبة الاولى ذو ظل فلم يكن هناك اعلى ولم يكن هناك
انزل لان الظهور اذا انتهى الى حد ونهاية البصر انعكس الى البطون ولهذا
اذا ادرك الرائي بحاسة امرا ثم تامله وحقق التامل فيه وجدان هذا العرض ليس له
حقيقة متاصلة في الوجود والوجود انما هو للجسم ثم اذا امعن النظر في الجسم وجده
ليس له قوام بدون ما ركب منه ثم اذا اعمق التامل والنظر في اصل المركبات وجده امرا
بسيطا ليس للمركبات قوام الا به وهذه المركبات انما هي اشكاله والشكل ليس له
وجود بدون المشكل ثم ان هذا المشكل لو فتش واريد الاطلاع على كنه حقيقته
لم يظفر بها وانما ذلك لدقة الامر وعلو مرتبة المشكل في البطون والخفا المقصود
في الادراك وهذه العلة حصل الخلاف في ماهية المشكل على الشيء وسعان

مدهشا

مدة منا كل واحد منهم يدعي انه المصيب فتلخص مما ذكر ان الشيء اذا تم ظهوره كان
ذلك عين الخفاء والبطون فالامر دائر بين بطون وظهور ثم ان كل واحد من
المراتب المتوسطة اعلى الخفاء وان الظهور بالنسبة الى ما فوقها هي ظل والى ما
تحتها هي ذو ظل وان شئت قلت بالنسبة الى ما فوقها صورة وبالنسبة الى ما
تحتها حقيقة فاذا عرفت هذا الاصل الكلي فنقول المرتبة الوجود وحدة لا تقابل
الكثرة الاسمائية التي هي اصل لوحدة الوجود المنبسط على سائر اعيان المكونات
المقابل للكثرة الاسمائية لان هذا الانبساط المذكور انما يحصل من الذات
باعتبار ظهورها في ملابس اسمائها فهي عين الذات باعتبار الوجود الخارجي
العيني فان هذه الاسماء وان كانت متكثرة باعتبار مظاهرها لكن هي متحدة
باعتبار ملاحظة انطماسها تحت سلطنة الاسم الاعظم المعبر عنه بالله تعالى
تارة وبالرحمن اخرى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى
وهذا ايضا ظل الوحدة الاصلية التي هي ظل الغيب المسمى بالهوية المعبر عنها
بقوله تعالى في الحديث كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق
فهنالك حصل الظهور المشار اليه بقوله سبحانه وكتاب مسطور في رق
منشور **قوله** ويعبر عنه بالنور لمظهريته لغيره النور يطلق على معاني
متعدده باعتبار ما يقابله فباعتبار ظلمة العدم يقال للوجود المقابل نور
وباعتبار ظلمة الكفر يقال للاسلام نور وباعتبار ظلمة الجهل يقال للعلم نور

فادراك الحق سبحانه اتم ليس كالادراك المستند الى المشاعر من تلك الحيثية

وانما المراد بالادراك المذكور لقيام الحق سبحانه بكل مدرك لعدم قيام الحادث

بنفسه ولا شك ان ادراك النفس لما عداها يتوقف على ادراكها ما بينها او

وتلك الماهية ليست لها قوام الا بالمقيم لها باعتبار انبساط نوره سبحانه

عليها ادركت ماهيتها ثم ما عداها فادراك الاصل من هذه الحيثية مقدم على

ادراك الفرع اذا كان نفس الادراك انما هو حاصل من الذات المنزهة كان

ادراك الواهب له مقدما على كل مدرك وهذا الادراك الحاصل للنفس انما

ادركت به اولا انها مدركة للقائم بها وهذه هي المعرفة المفطور بها المذكورة في

جبلة كل موجود المشار اليها بقوله عز من قائل ولئن سألتهم من خلق السموات

والارض ليقولن الله وهي الفطرة التي فطر الناس عليها فالمدح والذم والثواب

والعقاب وجميع الاوامر الالهية ليست منوطة بالمعرفة الفطرية بل هي متوسطة

بالكسبية والنظرية انما هي سلم الى تحصيل المعرفة المامور بها لان النفس

يتوجه الى ما لا شعور لها به من كل وجه فباعتبار الامور البديهية الحاصلة

للنفس يمكنها الترقي الى المعرفة التي قد امرت بها وفي هذه المعرفة قد تباين

المتنافسون فان من عرف الذات من وجه هو ناقص بالنسبة الى من عرفها

من وجهين وقس على هذا الى ما لا نهاية له فمنهم شقي وسعيد وهكذا اينما

البحث فيما عدا الحق سبحانه من النفوس والعقول فان الشيء انما يدرك بذاته او

ولما كانت اظهر من كل شيء فاذا توجهت اليها بالطلب اختفت لان الطالب عين

المطلوب وتحصيل الحاصل محال واعتبر من نفسك مثالا يكون ذلك

انموذجا تترقى به الى ما اشكل عليك هو ان كل ما قابل آلة البصر حصل لها

ادراكه ضرورة فاذا اردت ادراك ما قرب من الحدقة لم تستطع على ادراكه و

مما لا شبهة فيه فكذا البصر فان جميع ما يقابلها من الامور العالية تنطبع فيها

فلو توجهت الى ادراك ما ادركت به من الامور لم تتمكن من ادراكه وما ذلك

الا لظهوره لان الحجاب المانع من الادراك لا بد ان يكون اعظم واوسع من

المحجوب حتى يكون حجابا عليه وقد علمت ان القيد المحصور ليس له نسبة تقييدها

بالنسبة الى ما هو الانوار المطلقة وقد الغير المحصورة فكيف يكون المقيد

حجابا عليها فهذا شان بعض الاشباح بالنسبة الى البعض فما ظنك بنور الانوار

واي حجاب يحجبه واي حجاب يستر نوره الله نور السموات والارض وقد قيل في

هذا المعنى الحيتان في البحر وهم يطلبون الماء وفيه ايماء الى سر قوله صلى الله عليه

وآله ان اهل السموات يطلبونه كما يطلبونه اهل الارض فينبغي لاهل البصائر

والابصار الاجتهاد والسعي في رضاء المهيمن الجبار فعند الصباح يحمد القوم

السرى قوله اشارة الواصل الى مقام الاستغراق اه الوصول المذكور مسبوق

بمنازل متعددة هي قدم السالك فلا يمكن التجاوز الى المقام المشير اليه الا

بعد قطع تلك المنازل لان الانسان خالد بوجهه الى عالم الحس هيولاني التصور

خال من جميع النفوس والصور وفي ذلك تنبيه على ان النفس الى عالم
الحس خالية بروزها من مبداها عارية من جميع العلوم والكمالات فاذن
اذن لها بالتنزل الى العالم الحسي استشرقت على مراتب الوجود المتقدم ذكرها
شيئا فشيئا وفي ذلك ايماء ينبي عن سداد الوجود وطلسه وخلوه عن جميع
الصور قبل ظهورها به فاذا ثبتت في العالم الذي اخرجت اليه بسبع سنين
او دون انتقش في مرآة نفسه صور عالم الحس البديهية فيكون سلما الى تحصيل
الكسبية وتسمى هذه المرتبة في اصطلاح اهل النظر عقلا بالملكة لانه ملكة
الذي امور البديهية ليكون له عونا على الارتقاء الى ما امل له من الكمال اللائق
به والمرتبة التي قبلها عندهم عقلا هيولانيا لخلوه من جميع الصور فاذا اراد
اللبث المذكور سبعة اخرى في طلب النفس ما هو مركوز في جبلتها بالقوة من
العلوم المسماة بالاصطلاح كسبية لانها تكسبها بالالة لما ثار اليها وتسمى هذه
المرتبة عند القوم عقلا مستفادا لان النفس تستفيد ما هو مجهول عندها
من وجه مما اسبق فيها من الامور الضرورية فاذا ترقت نفس السالك بهذا
الطريق المخصوص حتى صارت تلك المعلومات المجهولة من وجه معلومة بالبداهة
كالضروريات المتقدم ذكرها سميت هذه المنزلة عقلا بالفعل لان جميع ما كان
حاصلا بالقوة برز الى الفعل وهذه اخر مراتب علم الاكتساب واول مراتب
علم اللدني فاذا ترقت النفس بنور ربها عن تلك المراتب المشار اليها

الى

الى العلم اللدني المفاض على تلك الروح الزكية كنفس الخضر وسليمان ومن كان
في مرتبتهما استغنى عن العلم الذي اكتسبه بالمشاعر فاذا التفتت اليه بعض
الاحيان حجبها عن الحالة اللدنية التي قد استغرقت فيها فهذا حال النفس
الناطقة بالانبياء والمرسلين فقد غرقوا في عظمة بحار الجبار وخصوصا
سيد الكونين ولقد اشار عم الى علو هذا المقام بقوله لي مع الله وقت لا
يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل وهذا هو المشار اليه بمقام الاستغراق
لكن ذكر كما اشار اليه بعض الفضلاء بقوله الا ان ذلك مما لم يحط على قدر كل
ذي قدر ونتائج لا يعلم مقدماتها احد كل ذي حد بل ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء جعلنا الله واياكم من المقتفين لتلك الاثار الفائزين بانوار النبي
المختار والقاطنين في مقعد صدق عند مليك مقتدر قوله اشارة الى ان
التطابق بين جميع التعينات الخ لاشك ان عند تجلي الذات المقدسة بصفة
الجلال المسمى على لسان انبيائه من حيث تلك الصفة بالقهار لم تبق لتلك التعينات
الخبرية والعقلية اثر ظاهر كما قال تعالى بعد قبض الجميع لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار قال سبحانه كما بدانا اول خلق نعيده والسر في ذلك ان الله تعالى قد وصف
نفسه بصفات متقابلة كالقهر والغضب يقابلهما اللطف والرحمة فاذا اراد سبحانه
بسط الوجود تجلى واتصف بالذات المقتضية لذلك كما احسن تسمى باعتبارها
رحيما ولطيفا ورؤوفا الى غير ذلك فتطمس اثار مقابلات هذه الاسماء تحت

ادراكها ولو جهدان المدرك لشي من هذه المظاهر في اي عالم فرض من
تلك العوالم انما يدركه بالوجه المناسب لذلك المدرك فان كان محسوسا
فادراكه انما هو بالالة الحسية وهو ضروري عنده من هذه الحيثية وان
كان غير محسوس فقد ادركه بالالة اللائقة بهذا المقام فيكون بديهيا من
ذلك الوجه فلو تفكرت النفس بكيفية وقوع هذا الادراك الحاصل لها اذا
حصل ومن المدرك لما حقق المدرك عن الشيء الشي لا يمكن ان يتصور
نفسه لان المتصور لها لابد ان يكون مغايرا لها والشي لا يغاير نفسه فحصل
امتناع الادراك من هذه الحيثية وما ذاك الا لشدة الظهور اما ترى اذا
امعنت النظر في جرم نور عالم الحس وجدت المركز الذي هو منبع الانوار
يميل الى السواد والظلمة وليس الا من شدة افراط نوره فهذه صفة شمس
الاجسام التي هي ظل الشمس عالم النفوس فلا بد ان يكون ذو الظل اظهر وا
جل لانه ليس لحجاب الاظلة وظل الشي لا يحجبه ففي الحقيقة لو حققت النظر
وجدت ذلك الظل عدميا بالنسبة الى اصله وكيف يعقل ان الامر
العدمي يحجب الامر الوجودي المحقق ولا تتوهم مما ذكر ان الامور الموجودة وا
لمعدومة ان الوجود والعدم كل واحد منهما كسيت مشتملة على الامور المذكورة
كشمول الظرف للمظروف بل انما الموجود موجود في نفسه وكذا المعدوم وا
لتعيين الاول المندرج فيه كليات الصفات عبارة في المرتبة الواحدية التي

ظل الاحدية فان جميع ما اريد بروزه من العوالم الى ما لا انتهاء له لابد من
تعينه في هذه المرتبة لانها معركة الصفات والاسماء والعوالم المذكورة
انما هي اثار لهذه الاسماء فمن هذه الحيثية كانت مندمجة ومنطوية على ما
برز منها ويسمى بالتعين الفردي بالنظر الى من هو ظل له فان هذا الظل اذا كان
واحدا يحجب اتحاد ظله ويسمى كل الكليات باعتبار اشتمالها على الاسماء وا
لصفات فان جميع الاسماء ما دامت اثارها غير ظاهرة فهي متحدة فيها ولم تعلم
من هذه الحيثية فاذا انتشرت هذه الاثار باسم الملك الجبار تميزت
الاسماء كتميز الاشخاص بالنسبة الى من هذه متحدة فيه وهو الصنف او
النوع فرتب الاسماء وانتشارها وانحصارها والشامل لها المحيط بجميعها
انما هو الاسم الاعظم الذي هو الله والشامل المحيط بخواص الاشخاص انما
هو مظهر هذا الاسم الاعظم الذي محمد بن عبد الله نبي الفاتح الخاتم الذي
قد اوتي جوامع الكلم التي هي خواص الاسماء الالهية فانكشف لها بسببها
جميع ما برز وما يبرز بعد الحدوث ان يظهر الى يوم القيمة لذا اعترف من هذا البحر
الخضم باب مدينة هذا العلم ولوح في بعض خطبه ما يشعر بهذا الانكشاف
الاتم بقوله عليه السلام والله لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين اهل التورية
بتوراتهم وبين اهل الانجيل بانجيلهم الى قوله والله ما من اية نزلت في
بر او بحر الا وانا اعلم فيمن نزلت ولم نزلت وامثال ذلك كثير قوله لما لم

يكن فرق بين الوجود والظهور الخ بيان ذلك ان الظهور انما هو صفة
الظاهر كما ان الخفاء صفة الخفي وكل من الصفتين انما يلاحظ باعتبار الموصوف
بهما وهما متباينان فيجب ان يكون المتصف بهما كذلك والصفة غير مغايرة
للمتصف بها من هذه الحيثية فثبت كون الظهور ملازما للوجود غير منفك
عنه بالنسبة الى ما هو عليه في حد ذاته وكذلك الخفاء عين الموصوف به
وانما الى به لان الشيء لا يعرف بدون معرفة صفته واما النسبة الى اعتبار
المعتبر فكل صفة هي مغايرة لمن اتصف بها لان الشيء اذا ادرك او لم يدرك عنه
الملاحظ فهو ظاهر عنده واذا زال الادراك المذكور اتصف ذلك المدرك بصفة
ما اتصف به اولا بالنسبة الى هذا الباطن فاتضح مما ذكر ان المدرك الظاهر في
حد ذاته لا يطرا عليه التغير والتبديل لا بالنسبة الى الباطن والمدرك ولكن
الخفاء الذي هو صفة الخفي غير متغير في حد ذاته فكذا الموصوف به فعلم ان الظاهر
المتصف بالظهور امر وجودي والمتصف بالخفاء عدمي وهما من اقسام الوجود
المطلق الشامل للذهني والخارجي واما العدم المطلق فانما هو قسيم لهما لا قسيم
لعدم امكان ملاحظته الا باعتبار ملاحظة ضد نقيضه الذي هو الوجود
المطلق فلهذه العلة كان مطمح نظر عوام العلماء من الخلق الذين ينظرون بالعين
الواحدة العوراء ان كل واحد ظاهر عندهم هو الحق وكل باطن محجوب هو الخلق و
هولاء عكس عامة الخلق الذين يشاهدون العالم محسوسا والخالق معقولا

منصورا

منصورا في اذهانهم فهم ناظرون بالعين الواحدة ايضا وكلا الفريقين
مذمومين بالنسبة الى اهل الجمع والموجود الناظرين بالعين مارة وبالعقل
اخرى ولم يخلطوا احد المشهدين بالاخرى فيرون الحق حقا في مرتبة اللا
به والخلق خلقا كذلك فالطائفة الاولى الذين يرون الحق محسوسا والخلق
معقولا تسمى عند القوم اهل التشبيه والاتحاد والطائفة الثانية الذين
ينظرون الحق معقولا والخلق محسوسا تسمى عندهم اهل التنزيه والتعطيل
والطائفة الثالثة الجامعة بين النظرين هي المسماة باهل الجمع وانما سموا بهذا
الاسم لانهم يرون الشيء حقا من وجه خلقا من وجه اخر وميزوا بين
النظرين فلم يمزجوا احدهما بالاخر وهذا امر صعب يحتاج عند العقول وتاباه
النفوس فاشكل الامر فلهذا قيل ما عجبي من هالك كيف هلك الا من نجى
كيف سلك ولا شك ان السلوك الى المقصد مع كثرة الطرق وصعوبتها
على النفس امر صعب مستصعب خلافا للهالك فانه لا تعجب فيه لكثرة اهله
ضرورة والشيء اذا كان كثيرا ضروريا لم تتعجب النفس به وانما تحصل التعجب من
النادر الوقوع ما قيل ان الطرق الى الله بعدد انفاس الخلائق مسلم لكن
ليست كلها منجية واما المنجي منها هو الطريق المستقيم بل مطلق المستقيم غير موصل
الى غاية الكمال وانما الموصل هو المستقيم المقيد بطريق الذين انعم عليهم
الذين وصفهم ربهم سبحانه على لسان عبده بقوله صراط الذين انعمت عليهم

الواحدة

المستدير

هنا

ذلك مما اباه العقول ولم يرد عن نبي ولا رسول نعم الممكن من حيث هو
هو امر اعتباري وطامع وقوعه بهذا الامر وحصوله المرجح ووجدان
وجوده فلا سبيل الى نفسه اللهم الا ان يكون ذلك باعتبار استغراق
الواصل الى مقام الجمع حين الاستغراق كما قال لي مع الله وقت فانه في
مثل تلك الحالة لم يشاهد غير الحق سبحانه فان عنوان العالم عدم هنا
الاعتبار فلم يكون النزاع حينئذ لفظيا وان زعموا ان هذه الامور
المحسوسة والعوالم المتعددة مذكرها غير الوجود المحض فهو غير مسلم لان
الامر الضروري الظاهر لا يمكن انكاره وقوله عم كان الله ولا شيء معه وهو
الان على ما كان لا ينافي ما ذكرناه من وجود العوالم لانه تعالى لا شريك معه
في ملكه ولا وجود لاحد بالاستقلال لانه واذا لم يكن في الوجود ما سواه
وكان الكل محتاجا اليه يستلزم ذلك الشوق والحركة المعنوية نحو المقصد
لتصور غايات النفوس عدم الاشتياق لمانع الكسبية من مجاورة
الطبيعية الحسية لان النفس حال التدلي في غاية الصفا والصقالة فاذا
تعلقت ببعض الاجسام المعدها سواء كان ذلك التعلق طوعا او كرها
انست به كانس الطير المحبوس في القفص لكثرة علقه ومانه فان كانت تركته
ستعرف لماذا انزلت وماذا تريد منها فاخذت في العروج المعنوي لكن
كثرة الوسائط وبعد الطريق وكثرة اللبث في العوالم حالة التنزول

السبوق خ

الكسبة خ

المعنوي

المعنوي كان ذلك الشوق ضعيفا وانما ضعف لما قلناه من كثرة الوسائط
فاذا ترقت شيئا فشيئا خفت الحجب وقلت فتزداد مرآة النفس جلاء
فتعلم حينئذ كيفية النزول وتعلم ايضا ان ذلك النزول كان بمنزلة في
فينكشف لها ما كان مستورا عنها فترجع بكيفية زكية واخلاق مرضية
لم تكن حاصلة لها قبل ذلك التدلي والهبوط ولنورد لهذا الامر الجليل
مثالا لتقريب الى الافهام فنقول الماء المطلق من حيث هو هو متبرا في حد
ذاته عن الحلاوة والمرارة وعن الرائحة الطيبة والخبيثة وانما لحقه احد
الاوصاف باعتبار محاله ومروره عليها فاذا انساق وتدرج الى ارض
ذات اشجار مختلفة وسقيت تلك الاشجار به حصل لكل باعتبار قابليته
منه قسط مخالف لغيره فاذا وصل الى شجرة الورد مثلا وتلبس بها وصعد
الى اغصانها وصار يتدرج في تلك الاغصان الى اوراقها ومنها الى زهرتها
فاذا اصعد الى ذلك الورد وانفصل بما هو مقصود بالذات والذي لاجله
حصل للذرع ما حصل من المشقة رجع الماء الى اصله بكيفية زائدة على
ذاته لم تكن حاصلة له قبل ذلك وبهذا اشار ابن تقي به اللبيب الى عالم الغيب
ومثال ذلك تدرج النفوس وتدليها وانسياقها الى هياكل التوحيد ورجوعها
الى ربها متحلية باحسن حلية واما النفوس الخبيثة وتقلبها تقلبات
الماء المار اليه في الاشجار الخبيثة فتصير بهذا التجوز والصفا ذا مرارات و

حموضة ورغا ادى به الحال الى ان يصير منتنا لا ينتفع به فهكذا شان
النفوس الخبيثة التي انكرت اصلها وعميت عن ملاحظة مبداها ثم ان
قول شيخنا قدس الله سره بان العبد لو نفى العبادة والمذلة لا يسلك
في اقتضائه ذلك ولكن هذا مدح للعبد ورفعة لشانه لان النبي صلعم
قد تورمت قدماه من قيام الليل وكان يشد على بطنه الحجر حال العبادة
فاتاه بعض اصحابه وقال له يا رسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من
ذنبك وما تاخر فما بالك على هذه الحالة الشديدة في العبادة فقال صلعم
في جوابه افلا اكون عبدا شكورا وهذا دليل على علو درجة العبادة
وعلو شان العابد اذا انبسط جناح الذل بين يدي المعبود ولا يتوهم
متوهم ان الشيخ قد ذم العبادة عند قوله وحجاب التعين العدمي يقتضي
المذلة والعبادة في العبد ولدفع هذا التوهم ورد الدليل المتقدم نفي
هنا طرفا افراط وتفريط في العبد لابد من ذكرهما والتنبيه على شرهما
احدهما ان بعض العباد اذا كان نفسه في غاية الصفا لعدم تلوثها
ولبثها في طبائع العوالم فتستمر في علو تلك العوالم حتى تنتهي الى مرتبة لا
يمكنها الفرق بين ذاتها وذات من انشاها فتنزلت ما بعثوا به الانبياء
لعدم اطلاعها على سر هذه النفس الخبيثة التي تعوذ الرسول صلعم منها
بقوله اعوذ بالله من اهل الفطنة لتبرك وثانيهما ان بعض العباد اذا

كانت

كانت نفسه على عكس ما ذكرناه فتكون في غاية الكثافة لانه كلما كثر لبثها في
عالم الظلمات كثر تلبسها فتصير محجوبة بكثرة الصدا فان علوق هذا الصدا
على النفوس كعلوق الاوساخ على المراة المجلوة فاذا تكاثف سمي جربا فيستحيل حينئذ
قلعه كذلك صدا النفوس اذا تكاثف صار رينا وهو المشار اليه بقوله تعالى
كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فاذا صارت النفوس بهذه المثابة فان
العبادة واين التوجه فلا فرق في الهلاك بين صاحب هذه النفس وبين من تقدم
ذكره فان وجد من صاحب هذه النفس عبادة فوجودها كعدمها لان صورة وانما
لا يتيان في العبادة بدون شرائطها غير منتفع بها فهذان الطريقان غير محمودين
المحمود هو الجامع بين العبادتين الصورية والمعنوية فان الصورة ليس لها قيام بدون
المعنى فان حصلت ممن هذا شانه فهي كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا
العزم في محكم كتابه العزيز وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا قوله
اثبات واجب الوجود لذاته انه لا جنس له ولا فصل الخ بيان ذلك ان مفهوم الطبيعة
الجنسية باصطلاح المعلم الاول المدون لعلم المنطق هي عبارة عن امر كلي شامل
لامور مختلفة الحقائق يسمى كل واحد منها نوعا وذلك النوع المشمول ليس له فوائد
انواعه ان كان ذلك النوع اضافيا وان كان حقيقيا ليس له مشترك بدون
اضافة المشمول له وكل واحد من هذه الاصناف ليس له تشخص الا في جنس افراده فعلم
واتضح ان كل تشخص هو عبارة عن هيئة مجتمعة من امور هي مسبوق باجاده واجزائه

الموضوع ٣

بالذكر على الحقيقة لحمل الصفة على الذات فلو كانت الذات المقيدة موضوعا
يحمل عليه لزم ان تكون صفة لذاتها وهذا واضح البطلان لما كان لا ادنى تأمل
متحد الاستدلال ان يقال لا تنحصر في وحدة لان الوحدات في الاصطلاح
تطلق على معان خمسة وحدة بالجنس ووحدة احدية لزم تناهيه فان
كل محصور بين حاصرين متناه منضبط والانحصار والتناهي انما هو من
لوازم بعض المخلوقات ولا انحصار ايضا في وجود لان الوجود مراتبه منحصر
في خمسة اقسام كما مر فلا بد من اعادة ذكرها للتنبيه فاول مرتبة الوجود
للاعيان الثابتة ثم مرتبة العقول ثم مرتبة النفوس ثم الخيال ثم مرتبة
عالم الشهادة فلو انضبط باحد من المراتب خلت الاخرى منه والغرض ان جميعها
معلولة له والمعلول لا قوام له بدون علته ضرورة فهو [illegible] الكل والحاضر

على الكل

مع الكل ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى
من ذلك ولا اكثر الا هو معهم لا معية زمانية لتجرد ذاته واذا لم ينحصر في شيء
فلا ينضبط الشاهد في مشهود صدق قوله ص ان املا السماء يطلبونه كما
يطلبونه املا الارض واذا كان الوجود منحصرا في امرين محيط ومحاط به وعلم
عدم احاطة شيء به لزم ان يكون هو المحيط بكل شيء وقد تمدح سبحانه بذلك
في قوله وهو بكل شيء محيط ليس كاحاطة الظرف بالمظروف لان هذا الامر من
لوازم الاجسام والاحاطة عبارة عن المعية الذاتية لكل شيء المشار اليها انفا

وهذا

وهذا هو عبارة عن الكمال المستوعب لكل الكمالات اللائقة بقدسه فلهذا
قال لا اتنزه عما هو ثابت له لان التنزيه عن الكمال نقص ومن جملة صفات الكمال
ايصال المدد الى الخلق والشفقة عليهم والرحمة لهم وهذا الامر انما تم بعد احتجابه
عما ابداه وخلقه ولكن وصول هذا المدد والغرض على مراتب شتى وتنزلات لا
يمكن ضبطها بالنظر الى تخصص كل موجود وبالنظر الى الجملة ينحصر في امرين لان
هذا الوصول اما ان يكون بغير واسطة كما هو حظ الكمل او بواسطة لمن عداهم
فالحجاب الملاحظة بالنسبة الى الفهم والعز والهيبة وما عداها من الصفات
انما هو عبارة عن امتناع حقيقة عن كل شيء وما قيل عن ذكر الحجب في قوله ع
ان لله سبعين الف حجاب من نور وظلمة انما يراد بها المجردات النورانية والا
الاجسام الظلمانية وهذه هي عبارة عن العالم المحتاج الى المدد بالواسطة
وغيرها فلا حجاب يحجبها مع هذا فلا يحيط به ولا تدركه العقول والادراكات
لان كل واحد مقيد والذات مطلقة ولحاظ المقيد بالمطلق محال لان
المتناهي لا يحيط بغير المتناهي قال ولا تحويه الجهات والاقطار ولا يحيط
بمعرفته من حيث الكنه البصائر ولا تشاهده الابصار لان البصر لا
يشاهد الا مكانا مقابلا وهو مقدار ما وقعت عليه الحدقة وهذا الامر مع ان
المقابل لها انما هو جسم بل الجسم عند مدركه بحاسة البصر وانما يدرك عرضا
حالا في ذلك الجسم الكثيف وكذا معرفة البصيرة التي هي عين القلب

انما تندرك لا زما من لوازم الذات بل ذلك اللازم معارف لان الذات من حيث
هي هي لا لازم لها الا الصفات الكمالية وهي غير مدركة لعدم مغايرتها للذات
واذا كان الامر كما قيل فان المعرفة الحقيقية المتعلقة بالذات فاستحالت المعرفة
بالكنه بل بعض المخلوقات لا يمكن معرفتها الا بلوازمه العارضة له وحجبت
البصائر والابصار خاسئة عن عظمة جلال الملك العلام تقدس عن القيود
الصورية لان الصور سواء كانت في عالم الخيال او في عالم الاجسام انما تقيد بها
من يكون محتاجا اليها لحصول الكمال ولا تنزل المستكمل الا بها فالذي هو مستجمع
الكمال بل جميع الكمالات فطرة من رشح جوده تعالى عن التقيد بالصور لطيفة كانت
او كثيفة وكذا القيود المعنوية لا تليق بعظمته المجرد عن الجميع لما قلنا فالقيود المعنوية
هي كل ما عدا الصورية كالقيود اللازمة للجواهر المجردة فان نفس تعين كل واحد
منها في الوجود العيني عين الحسي قيد لازم لذاته ومن صفات موخرة عن حدوث
الاجسام كالملائكة المهيمنة والعقول فعلم ان القيود الصورية والمعنوية ولو كانت
بالنسبة الى المقيد بها من كماله لكن هي نقص بالنسبة الى المستغني بذاته عن جميع
القيود فتعين كماله في اطلاقه وشان المطلق يقتضي التنزه عن مقولة المقادير
والمقدار عبارة عن حجم كالابعاد الثلثة الحالة بكميات الاجسام الطبيعية التي
تنفك عن الكيفيات الاربع اعني الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة
فلا يحيط علم عالم به لان علمه عبارة عن صورة المعلوم المنتقشة في ذات
العلم والصورة من لوازم الممكن فلا انتقاش في ذات عالم العدم الصورة

الجبار

والحديث

صحته

والحديث المروي عن النبي صلعم وهو قوله خلق الله ادم على صورته على تقدير
في متاولة لان المراد بالصورة الجمعية من صفات الكمال كالقدرة والعلم والحياة وما
في الصفات واذا لم يحط به علم عالم فالظن والوهم والحدس بالاولى ان لا يمكنها الاحاطة
بشيء من الجناب الاعلى لان كل واحد منها قوة متعلقة بالجزئيات المحسوسة والمعقولة
فثبت انه محتجب بكمال عزته عن كل احد بسبب الاحتجاب بحجبه لان حجابه عبارة
عن شدة ظهوره ونسبته الى الكل على السواء فاذن لا علو للعبد بقرب
الرب منه كما قال سبحانه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد بل العلو والمرتبة
بقرب العبد من ربه كما قال سبحانه ثم دنى فتدلى وكان قاب قوسين او ادنى
وفي هذا القرب هم متفاوتون وفي سيرهم مختلفون ولم يبلغوا من مرتبة
التنزيه لربهم من حيث البصائر والادراك الا ذلك مع سعة ميدان حضرة الذات
في جميع ما اتى به من التنزيه انما هو احكام سلبية والحكم السلبي لا يحصل لنا
بسببه معرفة حقيقته وذلك ليس لقصور الادراك بل هو لعلو مرتبة المدرك
ولذلك حرم على العقول ان يحوموا حول حمى الجناب المقدس ولطف بهم الرب
الشفوق فاكتفى منهم بما وصل الى افهامهم وما تحملته اذهانهم بالدلائل البراهين
واطمانوا بما حصل لهم من معرفة المجيد ولهذا قيل لولا هداية الرسل للامم
لم يثبت احد من الخلق قدمه لعدم استقلالهم بما يراد منهم ولهذا هلكت
اهل العقول من الحكما العظام من حيث عدم اتباعهم للرسل الكرام ولما بالغ

والاخرى ذاتية لا يمكن زوالها وهو امكانه والممكن عبارة عن تعقل
شيء في الذهن وحمل غيره عليه واحد العارضين حمل العدم ايضا في
عليه باعتبار عدم اتحاد العلة له واذا كان الشيء ثابتا كان جميع اوصا
اللاحقة للوجود ثابتة لعدم مغايرتها لذاته وغير الثابتة بالعكس
وثبوت احد النقيضين واستمراره دائما يشعر بانتفاء نقيضه كذلك
ولا ارتباط لاحدهما بالعدم لتباينهما عن الوجود المطلق وضده وقد مضى
الاستدلال على عدم تعدده وانما اعاده لك ثانيا للفائدة وقد نضرب
لها مثالين احدهما خارج الانسان والاخر غير خارج فالاول شبه
الوجود لصورة شخص واحد قابلت مرايا متعدده فانطباع تلك
الصورة الواحدة في كل واحد من تلك المرايا لا تدل على تكثر من انصف
بتلك الصورة لان القوابل التي هي محل الانطباع لعيبت عن النطبع
وكذلك الدخول شعاع الشمس الى بيت من ثقوب متعددة فتلك
الثقوب لم تغير الشعاع ولم تخرجه عن النورانية ولم تعدد النور فعلم
من ذلك ان انضمام الوجود الى تلك القوابل انما هو حاكم بها امورا
اعتبارية لا حقيقة لها بدون الوجود وسلبه عنها في بعض المراتب هو
عبارة عن عدمها في تلك المرتبة فالايجاب والسلب نوردهما انما هو
على امر اعتباري عقلي وهذا الامر المسمى بالممكن وهو المشار اليه
بالظل وبالظل والخيال فالاشياء وما كتبت منه على اختلاف
المذهبين لا تخرج عما قلناه بل كلما سوى الله نعم لان العلة شيء ..

فـ

وجوده

في الجميع هي او سكان وبذا انتركب الجسم على مذهب المتكلم فقال تحليل
النقطة من تعين الوحدة فالوحدة الوهمية اصل النقطة كما ان النقطة اصل
للخط فانه مركب من نقاط مستديرة او مستطيلة وفي الحقيقة ليس الخط امرا
زائدا على النقطة لان تكرارها مرارا وتجدد تعينها بها هو الخط والجسم عبارة عن
تكرار الخط وتعينه وتجدده مرارا وحركة الجسم عبارة عن انتقاله وقطعه في
نفسه وتلك الحركة لابد ان تكون واقعة في زمان والزمان هو الكم السيال الذي لم
يجتمع اجزاؤه في الوجود بل الموجود منها جزء لا يتجزى وهو المسمى بالان فامتداده
والوقوع الحركات والجزئيات الحاصلة فيه الى ما لا يتناهى كسراب بقيعة يحسبه
الظمان ماء بمعنى ان الانسان اذا تفحص عن اصل هذه الامور وجدان
اصلها عدم لا حقيقة بها متاصلة في الوجود فبعد انبساط الوجود عليها
هي ايضا محتاجة الى استمداد الفيض دائما على المذهب الاصح وفي الحديث
القدسي ما يساعد على ذلك ما معناه يا محمد لو حصل في شبه الانقطاع
السموات على الارض ولصار العالم عدما اسرع من طرفة عين واذا كان
العالم كذلك صدق قوله كسراب بقيعة والثاني المثال الذي هو عبن
خارج عن الانسان وهو نفس الانسان الذي هو صورة امر واحد
وهو عبارة عن هواء ممتد من القلب الى المراتب ومواطن متعدده بمنتهى
الى الخارج الفم وفي كل موطن من تلك المواطن له اسم خاص باعتبار ذلك
المنزل وفي حد ذاته مغاير لتلك المنازل مجرد عنها نسبته الى جميعها على السوية
فاول منزل له يسمى باعتبار ذاته همزة والف متحرك وفي الموطن الثاني يسمى

اعز

وفي الثالث غيبا وفي الرابع خافي وفي الخامس غيبا وهكذا متصاعدا مبتديا
منحدرا الى نهاية المنازل وهو الهواء الخارج من الفم المسمى واوا وترتيب هذا
النفس محاذيا لترتيب الوجود وبدايته من غيب الغيوب صاعدا بالمنازل
والمواطن المعنوية والصورية الى ان ينتهي الى اظهر مراتبه وهي المرتبة الحسية
ولترتيب النفس وبدايته واول مواطنه الالف واخره الياء وهذا الترتيب
اصطلاحي وليس بالاسمية باعتبار بعض الحروف الى بعض وتركيبها على
الوجوه مخصوصا تسمى كلمة وكلمات والكلمات لانها بها تحاكي نسبات الوجودات
المحاذية لها مع ان النفس واحد في نفسه غير متكثر وانما الكثرة المذكورة
امر خارج عن ذاته ولهذا قيل الكلمات القرآنية مطابقة للكلمات الآفاقية
وهذا المثال اوضح واجلى من قوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم
حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد قوله
اما ترى كيف ظهر في المرآة عكس صورة الرائي انما اتى بهذه اللطيفة على سبيل
الرمز لتحصيل التنبيه بضرب الامثال وليعلم الناظر ان الامثلة ليست مقصودة
لعينها بل للتوصل بها الى ما هو المقصود بالذات وتوضيح المثال يحتاج الى
مزيد بسط وهو ان يقال الانسان بالنظر الى اصل شأنه لصور بعضها
مظهر لبعض وتتحد تلك الصور في الصورة الحسية فحقيقة الانسان المتصفة
بالصور هي عبارة عن عينه الثابتة في علم ربه فاول صور تلك الحقيقة
الصورة الوجودية المتعينة في عالم التجرد ثم ان هذه الصورة هي حقيقة
بالنسبة الى ما تحتها فلها صورة في عالم الخيال المطلق غير المقيد وهذه

الصورة

الصورة المثالية لها صورة وهي الحسية الانيقة فقد اتحدت تلك الصورة بجملة
الهيكل المحسوس اتحادا حسيا يحجب على النفوس الفرق بينها وبين من اتصف
بها ولهذا قيل ان الانسان هو عبارة عن الهيكل المحسوس ثم ان هذه الصورة
المحسوسة لا يتمكن المتصف بها من رؤيتها الا بعد انعكاسها في جسم صقيل
فاذا حصلت المقابلة المشروطة به عكس تلك الصورة فادركها المتصف بها
بحاسة البصر غير مشكوك به مع علم المدرك بعدم انتقال شيء من صورته
الى ذلك الجسم الصقيل وعدم انطباع شيء فيه بعينه الا ان التوجه البصري لم
تدرك الا عينه التي هي الصورة المنتقشة في خيال الرائي حين تجليها في المرآة
المحسوسة ومرآة ذاته هي عبارة عن عين بصيرته التي بها يتأتى له ادراكها
وهي غير مغايرة لذاته فادراك ذاته لا يزال بها حين يشهدها بالصورة الشخصية
وانه من تلك الرؤية رؤية الانسان ذاته في مرآة هي عينه باعتبار الحقيقة
وغيره باعتبار التشخص وقد اشار النبي صلى الله عليه وآله الى هذه المرآة بقوله قد
حبب الي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة وانما بدا
بهن وختم بالصلوة لان رؤية الشخص نفسه والالتذاذ بها اسبق واقدم من
رؤية الغير والالتذاذ به ففي الحقيقة الشيء لا يحب الا نفسه وانما ختم بالصلوة
لانها مناجاة الرب والمناجاة التامة لا تحصل الا بالاعراض عن المحسوسات لما
بينها وبين عالم التجرد من المنافاة ولا شك ان التفرد بالمحبوب والخلوة معه

بصورتها

وخصوصًا الاجسام الكثيفة العنصرية ومنه البدن في غاية الكثافة فلو

لطفه اقتضت الحكمة الالهية ان يجعل بينهما اداة ذات جهتين جهة لطافة

وجهة كثافة وهي المسماة بالروح الحيواني فهو المركب والمطية لها اي للنفس

الناطقة فحصول التعلق انما باعتبار سريان الروح الحيواني في البدن

ولا بد من الاشارة الى كيفية سريان الروح في البدن على وجه

الاجمال فاعلم ان الغذاء الذي هو العمدة في قوام البدن اذا وصل بعد

هضمه الى الكبد انقلبت صورته وصار دمًا ثم بعد تصفيته بهذا الالة

في الكبد يجذب صفوته الى القلب ثم يمكث في التجويف الايمن ويسري

في التجويف الايسر من القلب من صفوة ذلك الدم جسم لطيف بخاري

فهذا هو المسمى بالروح الحيواني ثم يجذب من الذي في التجويف الايمن

الدم

في القلب قسط الى الدماغ فينضج به نضجًا جديدًا فيسمى روحًا نفسانيًا

ثم يجذب من القلب الذي هو المنبع والرئيس لهذه الثلثة قسط من دم

الدم ايضًا الى الكبد ويتلطف تلطفًا جديدًا ويسمى حينئذ روحًا طبيعيًا

فتتعلق حينئذ النفس الناطقة بالارواح المشار اليها وتظهر اثارها

لما بين من المناسبة بينها وبين الارواح فتفيض من كل روح من الارواح

الثلثة قوى تناسب تلك الروح فالقوة المفاضة على الروح الحيواني تسمى

قوى حيوانية والمفاضة على الروح النفساني قوى نفسانية والمفاضة على

الروح

الروح الطبيعي قوى طبيعية ولكل واحدة من هذه القوى خدم واعوان ليس هذا

موضع ذكرها لان الغرض هنا انما هو بيان تعلق النفس بالبدن لا غير وهذا

القدر كاف في معرفة التعلق المشار اليه فقد اختلف الحكماء في زمان تحدده

انزه

فالمشاؤون ذهبوا الى حين تهيؤ هذه الارواح واستعدادها وذلك لا يكون الا

بعد التلطف المذكور والاشراقيون ذهبوا الى ان تعلق افاضة القوى الى هي

الحيوانية والطبيعية والنفسانية من النفس الناطقة قبل وصول الدم الى القلب

بل قبل صيرورته دمًا فهي كامنة في الصورة الغذائية ولكن لكثافة الصورة

لا تظهر اثارها فبعد تلطف الدم بعد التقسيم المذكور الى المواضع الثلثة تظهر

اثارها واستدل كل فريق على ما ذهب اليه بادلة ليس هذا موضع ذكرها ولما

تحير بعض اهل العقول الكلية في تصرفات النفس وصدور الاثار العجيبة منها

وعدم امكان تعلقها وتنزيهها عن الاين والحلول توهموا انها الرب سبحانه ولقد

خطوا في توهمهم الفاسد وسبب الخطا انما هو لقصور ادراكهم وفتور اذهانهم

فلو علموا ان الرب سبحانه لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء

لاندفع الوهم وارتفع الخطاء عنهم لقضاء الضرورة في تعدد النفوس وعدم

تساويهم في العلوم والمعارف واذا لم تفرق النفس بينها وبين خالقها فاي

ضلال يكون اعظم من ذلك ولحظ مرتبتهم تبوء من جعل النفس جزءًا من

الواجب فقد حكم عليه بالتركيب وقد مضى ان التركيب محال في حقه

سبحانه سواء كان التركيب عقليا كالماهية المركبة من الجنس والفصل او حسيا
كالماهية المجتمعة من الاجزاء المحسوسة وقد توهموا اهل الفطنة البتراء الذين
لم يستضيئوا بمشكاة طريق النبوة ولم يقتدوا بافعال الرسل ان المقصود من
الكتب الالهية والاخبار النبوية ليس هو ظاهرها فسلكوا طريق التاويل حتى
افضى بهم الى ترك جميع العبادات وربما ادى بهم ذلك الامر الى انهم نفوا
الصانع واثبتوا لانفسهم الربوبية حتى اذا جاء احدهم الموت عرف ان
الامر ليس كما توهم فلم يكن تنفعه ندامته حينئذ ولهذا حكى الحق سبحانه عن
بعض النفوس الخبيثة بقوله تعالى ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت
في جنب الله وكما حكى سبحانه عن فرعون حين ادركه الغرق بقوله اني امنت
بالذي امنت به بنو اسرائيل فلم ينفعه ايمانه وسبب ذلك انما هو الجهل
بمرتبتي العابد والمعبود وعدم العلم بالمطابقة بين الظاهر والباطن ولما كان
الامر منقسما بين ظهور وبطون انقسم المسلمون الى اقسام ثلثة فبعضهم
سلك طريق الظاهر وهم اهل طريق الحشوية فقالوا يجب حمل كلامه تعالى
على ظاهره والا لزم الاغراء فافضى بهم الامر الى ان جعلوا الله حسيا ذا مكان
والى ان فاعل الكبيرة كافر وان جميع الانبياء فعلوا الصغاير ومن جملة استدلالهم
على ذلك قول الحق سبحانه فعصى آدم ربه فغوى وقوله تعالى لحبيبه واستغفر
لذنبك الى غير ذلك وذلك الفساد انما نشا من عدم ضبطهم الاصول

الاولاء

الظاهرين

مذهبهم

مذهبهم فان المكلف اذا اشتغل بتحصيل الفرع قبل ضبط الاصل التبس
عليه الامر وبعضهم عكس الامر فسلك طريق الباطن وهذا راي الباطنية
فقالوا ليس المقصود من خطاب الحق سبحانه ظاهره والا لناقض بعضه بعضا
واخذوا في تاويل الظواهر حتى تركوا جميع اوامر الحق ونواهيه وهولاء
ربما اسفل واحط من الطائفة الاولى فمذهبهم ظاهر البطلان فلا حاجة الى
تفصيله وفي الطائفة الثالثة وهي التي جمعت بين الظاهر والباطن وهم الفرقة
الناجية وهم الذين امتثلوا ظاهر الامر وباطنه والامثلة التي تتضح بها هذه
المذاهب الثلثة اعني الظاهر والباطن والجامع بينهما مذكورة في المتن فلا
حاجة الى ذكرها وكل طائفة من هذه الثلاث على طبقات متعددة بحسب علو
مرتبة كل شخص بالنسبة الى غيره ثم ان الشيخ قدس سره لما ظهر فساد مذهب اهل
النظر والاستدلال من الظاهرية والباطنية اراد ان يظهر فساد اهل الحلول
والعزلة المغترين بتجلي نفوسهم فقال وهاهو السبب والمنبع لشبهة اهل الحلول
انه اذا كملت صقالة مراة القلب الخ لا بد من بيان طريق هولاء القوم واصطلاحهم
على سبيل الاجمال اعلم ايدك الله ان هولاء القوم سلكوا طريقا غير الطرق الثلثة
وسبب سلوكهم انما هو عروض شبهة حصلت لهم وهي قولهم الوصول بالنظر
والاستدلال محال بل الوصول الى معرفة نفوسنا التي هي اقرب الاشياء الينا
غير ممكن فلو امكن تحصيل هذا الامر بالعلوم الكسبية لم يحصل مثل هذا

كالانعام

الى الله

فهو صفة حالة بها كحلول البياض في الجسم فاذا انطبع الشعاع الخارج من جرم
الشمس في جسم صقيل كالمرآة وشبهها انعكس منه حرارة لها سطوة في التأثير
اشد من الشعاع الخارج من الجرم قبل الانعكاس ولهذا اذا وجب لاقتصاص
من شخص في ابطال نظره جعل في اجفانه قطن مبلول ويكلف النظر في المرآة المحاذية
لجرم الشمس فتشتعل عكس النور من احراق ما لا تشعله الشمس بحرها فهذا فعل صفة
الجسم في الاجسام من غير حلول الصفة من غير موصوفها فكيف يصح حلول
خالق الاجسام في غير موصوفها مع انها عينه فلو حلت في مرآة قلب من زعم
انه سالك لكل حال لكان الحال هو الذات لعدم المغايرة واذا كان الامر كذلك
فاين الاستغناء والاطلاق فيلزم ان لا يكون سبحانه ذاتا بل صفة لان الحلول

بل هو

من لوازم الاعراض تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فهذا حال السالك اذا وصل
الى مقام القلب ولم تصحبه العناية الالهية فاذا انتهى الى اعلى المراتب وهو المسمى
بالروح يبتلى باعظم مما ابتلى به اولا كالمناجاة والمسامرة وفي هذه المرتبة ربما
هلك اكثر من سلك هذا الطريق فان النفس في هذا المقام لم تزل مخلوقا ما
لم ترجع عن هذا المقام لعدم الواسطة بين العبد وربه في هذه المرتبة فتتوهم
السالك ان المناجاة والمسامرة الحاصلة انه خطاب الرب فتزلزل قدمه ان لم
يكن محكما لاعتقاده قبل دخوله في هذا الامر الخطر لان الله سبحانه لم يخاطب سوا
بدون الواسطة الا ان يكون نبيا او وصي بل ربما لم يحصل ذلك لاحد منهم

ايضا

ايضا سوا انبيائه فلا يطمع احد من السالكين بشيء من ذلك فاذا اتفق السالك
بهذا الامر علم ان المكالمة والمسامرة انما هي مكالمة الروح نفسها وهذه المرتبة ربما
يكون الهالك بها هو المدعي للمسيحية فضلا عن المريدين التابعين له ربما
لم يقتصر الرأي على ما تخيله من ان المكالمة هو الحق بل اثبت لنفسه الربوبية
كما حكى لنا ربنا عن فرعون في القرآن المجيد بقوله انا ربكم الاعلى واي طريق اعظم
صعوبة على النفوس من هذا الطريق المؤدي الى العذاب الابدي والدرك الاسفل فويل
لمن سلك غير الطريق الواضح المشار اليه بقول امير المؤمنين الطريق واضح فاين
السالك فقد بينه الرسول وسلكه مع الائمة المعصومين فصار سلسلة متصلة
الينا بواسطة الائمة ومن بعدهم من المجتهدين والدين من تفوه ان اسرار الولاية وطرايقها
مخالف للشريعة كما حكى الله تعالى عن الخضر وموسى ع فان الولي اذا لم يكن داخلا
تحت حيطة النبي لم تكليف يخصه من ربه فالخضر ع انما خرق السفينة وقتل
الغلام وبنى الجدار بامر ربه وموسى ع انما انكر عليه بامر ربه ايضا لانه ع كان مامورا
بالحكم الظاهر فلما انباه الخضر عما فعل علم موسى ان المخالفة بينهما كانت بحسب
الظاهر واما بحسب الباطن فهما متفقان لان المقصود من بعثة الرسل اصلاح
المبعوث اليهم ومن جملة اصلاحهم حفظ المال والانفس وكان فعل الخضر ع
مطابقا لما ذكر وفي مصاحبتهما وفي المحاورة فعال الصادرة من الخضر اسرار اخر
من جملتها ان الحق سبحانه اراد ان يظهر لموسى ع على ان قتله للغلام يوم خرج

من مصر خائفا يترقب كان غير مخطئ في قتله بحسب الباطن لانه معصوم من اول
عمره الى اخره على المذهب الحق ويوم وضع في التابوت والقي في اليم ويوم
اوى الى الجدار بعد ان سقى لبنات شعيب فالخضر ذكر لموسى ان هذه
السفينة كالتابوت والغلام كالغلام والجدار كالجدار فقال له على سبيل
الكناية كما كنت معي بل في احوالك الثلثة فاما اذا مصحوب فينا فعلت

ايضا

ولهذا قال النبي صلعم واسفا لو سكت اخي موسى لاراه الخضر العجائب فاين المخالفة
بين الطريقة والشريعة هذا قبل الرسول واما بعده فلا يمكن مخالفة
الولي له لا في الظاهر ولا في الباطن والعلة في ذلك انه ص اطلع على اسرار
طريقة الانبياء والاولياء باسرها بل هي بالذات وما عداها بالتبعية وا

لها بالذات ولما عداه بالتبعية خ

لعرض ضمنا المتبع لها واذا كان الامر كذلك فلا يمكن ان يكون للولي سر
لم يطلع عليه النبي ع فدخل الكل تحت خيطته فلو خالف الان احد
بعض الظواهر الشرعية وزعم ان مخالفته لها انما هو على طريق الولاية فهو
كاذب في دعواه لما قلناه من وجوب الامتثال على الكافة بخلاف من
تقدمه من الانبياء فان كل نبي بعث الى طائفة مخصوصة فيجوز ان يجانبه لعله
من لم يدخل تحت حيطته من الانبياء من الاولياء لعدم وجوب اتحاد
طريق النبي والولي قبل البعثة وظهر مما اشير اليه وجوب اندراج اسرار
الطريقة المخصوصة بالاولياء على وفق الشريعة المحمدية فتعين ظهور

الاولياء

الاولياء بقوله لا نبي بعدي **قوله** انظر الى قيام الكثرة بالوحدة الخ هذا
رجوع الى ما هو المقصود بالذات من هذه الرسالة وما اشير اليه من
سلوك الطرق واختلافها وكثرة المهالك المودية لمن لم يغش به انما
هو على سبيل الاستطراد فيقال الوحدة والكثرة مختلفان صورة ومعنى
لاختلاف محلهما وانقسامهما الى حقيقي واعتباري انما هو لانقسام موضوعهما
فان موضوع الوحدة هو الواحد وموضوع الكثرة هو الكثير ولاشك ان الواحد
امر حقيقي موجود فوحدته كذلك لان الصفة تابعة لموصوفها وفيه نظر ولما
كانت الكثرة هي عبارة عن ملاحظة الواحد والملاحظة امر اعتباري والكثرة
كذلك فعلم ان الكثرة ليس لها قوام ولا وجود الا باعتبار الوحدة فهي حقيقة
في الكثرة من حيث الوجود الظاهر فيقال بدن واحد والف واحد مع ان كل
واحد منهما مركب من اجزاء واحاد متكثرة فالواحد هو المحيط لمراتب الكثرات
العددية بل هو عينها لانها عبارة عن تكراره فالاجناس تتحد في الجنس السافل
والانواع في النوع الحقيقي والفصول في الفصل القريب المميز للماهية عن
مشخصاتها وهذا دليل واضح على ان باطن الكثرة وظاهرها واولها واخرها
انما هو الوحدة واتضح ايضا بهذا ان الكثرة امر اعتباري نشا من ملاحظة موافقة
اجزاء المركب ومناسبة بعضها الى بعض هو عبارة عن الكثرة القائمة والظاهرة
بالمركب من تلك الاجزاء ويسمى هذا التناسب عند اهل الحق سبحانه لما لزم

الاعلى وقربه هو الموجب لصدور ما تعجز عنه البشر وما ذلك الا بكمال القرب
الموجب لقوة القدرة ثم ان له تاثيرا في النفوس ووقعا في القلوب وهذا لا
يكون الا من غزارة علمه اللدني الذي تمكن من معرفة قابلية كل موجود
فيخاطب كلا على قدر قابليته فيحصل التاثير في نفس المخاطب ولا يتاتى هذا
الامر الا لمن صار الكلام الالهي منكشفا لذاته ظاهره وباطنه اذ لو لم يطلع على جميع
اسراره لما كان موديا لما قصده الحق سبحانه في اخباره ولقد اخبر عن اسراره
اجماله بقوله ان لكل ظهر كذا وحد وبطن وحد ومطلع الى سبعة ابطن والى سبعين
وكيف ولا يكون مطلعا على ذلك وباب مدينة علمه يقول والله ما من اية نزلت
في بر او بحر الا وانا اعلم فيم نزلت ولم نزلت وقال ايضا في شرح حرف من حروفه
والله لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من شرح بسم الله هذا كلام المتعلم فما
ظنك بالمعلم وهو المسمى بالنقطة التي هي مركز الدائرة المتصلة بالاولى بل هي عين
الدائرة لانه ع به بدا وبه فتح فهو الفاتح الخاتم الاول بالمعنى والاخر بالصورة [لسويه]
فان المتاخر فيه ما في المتقدم وزيادة لم تكن حاصلة في المتقدم وهكذا كل
صاحب عصر يجب ان يكون كماله محيطا بكمال من تقدمه قوله كمال النبوة
من حيث النبوة انما هو بالنسبة الى الكثرة الخ لا شك في ذلك لان النبوة هي تبليغ
الاحكام الالهية من الشخص المبعوث بها الى طائفة من الخلق واذا كان الامر كذلك
فاي نبي كانت امته المطيعة له من غيره فنبوته اكمل لان كثرة طلب المعارف وا

العلوم

والعلوم منه وكثرة طلب الاحكام انما يتاتى في ذلك من كثرة الامة وفي ذلك
سر ينكشف بمثال محسوس وهو ان سلطنة السلطان انما تقوى وتزداد بطشها
اذا كان عند السلطان جميع ما يحتاج اليه العسكر من الماكول والملبوس وانواع
الملاذ المحسوسة فكذا النبي انما تقوى نبوته ويزداد بطشه اذا كانت علومه
المفاضة عليه من ربه اكثر من غيره فقوة النبوة في الحقيقة انما هي باعتبار
قوة العلم والتائيد الالهي كما ان قوة السلطنة انما هي باعتبار اتساع الممالك
وكثرة الاموال فلهذا قال ع تناكحوا تناسلوا فاني اباهي بكم الامم الى الله يوم القيمة
ولو بالسقط هذا وجه كمال النبوة واما كمال الولاية فبالعكس لان الشخص كلما
قل تعلقه بالخلق وانقطع تقيده تلطفت نفسه وكلما ازدادت تلطفا ازدادت
عروجا الى حضرة القدس وتتفاوت نفوس الاولياء في هذا العروج غير منحصر
لان السير والعروج اذا كان في الله سبحانه لا يمكن ان يتوقف له على حد لعدم
تناهي الجناب الالهي بخلاف السير اليه فانه منقطع لتناهي الوسائط بين
السالك وبين ربه فمعنى الولاية قابل للشدة والضعف باعتبار محاله وصور
لان ولاية الشخص قد يكون حاصلة من جهة العلوم الكسبية فقط وهذه المرتبة
اول مراتب الولاية وادناها واصحاب هذه المرتبة هم المومنون الصلحاء الاتقياء الذين
يوحدون ربهم ويشكرونه ويحمدونه على البأساء والضراء والشدة والرخاء واهل
هذه المرتبة اكثر من المراتب التي ذكرها وان كانوا بالنسبة الى باقي الخلائق اقل من

عانة

القليل وقد يكون حاصلة بالعلم اللدني بعد الكسبي واهل هذه المرتبة اقل
من الاولى فلا تحصل هذه المرتبة الا للنادر من الخلق كسلمان وباقي خواص
امير المومنين ع وكذا من تقدمهم او تاخر عنهم من اهل هذه الطبقة وقد
تكون حاصلة للشخص بالعلم اللدني فقط وذلك لشدة قابليته وقوة
صفاء نفسه فان الذات المقدسة فيضها على قدر القوابل واهل هذه
المرتبة قسمان قسم لم تبلغ نفوسهم في العقول العروج مبلغ رتبة العصمة
وهولاء كالطبقة الثانية وقسم بلغوا العصمة وهولاء قسمان ايضا احدهما
انبياء والاخر ائمة ثم الانبياء قد يكونون رسلا وقد لا يصلون الى تلك المرتبة
وكل مرتبة من مراتب الاولياء المذكورة قابلة للشدة والضعف كل
ذلك لاتباع حيطة الذات المقدسة فان من يعرف الذات من وجه احط
ممن يعرفها من وجهين ومن يعرفها بوجهين احط ممن يعرفها بثلثة وهكذا
وهكذا يتفاوتون الى ما لا نهاية له فلذا يقال مرتبة الولاية لا نهاية لها
فهي اوسع من دائرة النبوة فاكمل جميع المراتب من الطبقات المذكورة مرتبة
المعصومين واكمل المعصومين هم الائمة الاثنى عشر واكثرهم منبع الولاية
واصلها وهو محمد ص وهو قطب رحا الولاية ومركز دائرة النبوة فاذا استغرق
في وجه الجناب الالهي قال لي مع الله وقت الحديث فعلم مما ذكر ان مرتبة
الولاية تابى الكثرة ومرتبة النبوة بالعكس ثم ان ولاية غير النبي ص قد يكون

مبدا اما

مبدا اما النبوة هذا اذا كان الولي داخلا تحت حيطة النبي كالائمة الاثني
عشر ومن دونهم من الامة المحمدية ص ومن دخل تحت حيطة الانبياء
السالفة قبل البعثة وهولاء نسبتهم الى النبي ص الاخذين عنه كنسبة نور
القمر المستفاد من الشمس وقد لا يكون مبدا اما النبوة كمن لم يدخل من
الاولياء تحت حيطة احد من الانبياء المتقدمة على البعثة كالخضر ومن كان
في طبقته ممن حصلت له الولاية بغير واسطة بشر واما النبي ص فقد اخذ الحق
سبحانه بغير واسطة لا اشتراط العصمة عند ناس اولى العلم الاخرة فالعصمة
لطف خفي يفيضه الحق سبحانه على قابلية المكلف بحيث لا يكون له داع
الى ترك الطاعة وفعل المعصية مع قدرته على ذلك والمراد بالطاعة وا
لمعصية اللذين كلفنا بفعل احدهما وترك الاخر اما هو مباح بالنسبة الينا
ومعصية بالنسبة اليهم كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين ولهذا حكى
الحق سبحانه عن انبيائه صدور الذنب عنهم في مواضع كثيرة في كتابه المجيد
فتنا صدور ذلك لا يخل بالعصمة كما قلنا ثم ان الشخص اذا وصل الى مرتبة
النبوة او الولاية التامة صارت هيولى العالم الاكبر مسخرة له بالتاييد الالهي
كتسخير العالم الاصغر لروح الانسان والتسخير يتفاوت بتفاوت قوة
روح النبي او الولي بالنسبة الى غيره فالتسخير الخارق للعادة ان قرن
بالتحدي سمي معجزا والا فكرامة وقد يكون التسخير الاول واجبا على الله دون

والائمة ص
بشرية

في دخول الكل تحت حيطة محمد ع انه وقع مظهر الاسم الرحمن العام المنبسط
عموم فيضه هو نتيجة المرتبة الجمعية الالهية التي جعل اسم الله عليها علماً فدخلت
الاسماء الالهية تحت حيطتها قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن والانبياء والاولياء
لما وقعوا مظاهر لمن عدا هذين الاسمين احاطت مرتبة نبينا بهم كما احاطت
بما تحتهما من الاسماء فهو واصل لكمالات المتفرقة في الانبياء والاولياء كمال اصل
الفيض ومنبعه المرتبة الجامعة لجميع الاسماء فكل ولي قارن صاحب تلك المرتبة
العظمة لا شك في علو مرتبته على سائر من عداه وهذا المقارن بغير واسطة
هو علي ع وقد اشار ص الى هذه المقارنة بقوله يا علي كنت مع الانبياء سراً ومعي جهراً
ثم الحسن ثم الحسين ثم التسعة من ولده المشار اليهم بقوله تاسعهم قائمهم اسمه
كاسمي يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً وسبب الكملية هو ان الائمة
الاطهار وعلو مرتبتهم على كل من عدا الرسول انما هو صفاء مرآة قابليتهم لان
الفاعل قوته مشروطة بصفاء قابلية القابل ولا شك ان قابلية علي ع لا يمكن
احاطة العبارة بوصف عشر معشار نعتها لان الناعت لا بد ان يكون مطلعا
على مرتبة المنعوت والا لم يحط بنعته ومعلوم ان احداً من البشر لم يطلع على
احواله ع مع ربه بل ولا مع النبي ص فلا يمكن الاحاطة بوصفه ويدل على ذلك
قوله وعلمني ابن عمي الف باب من العلم فتح لي بكل باب الف باب فهذا طريق
الاخذ من مشكاة الرسول ص من حيث التعلم والتعليم واما من حيث مرتبة

الولاية

الولاية حال التجرد والانقطاع عن التصرف الالات الحسية وعدم الواسطة فقد
علم لا يمكن الاحاطة به ويدل عليه قوله ع انا اعلم بما في طرق السماء الحديث في
ممدح ع في مواضع كثيرة وهكذا من بعده من الائمة ع بالنسبة الى الواسطة
وعلى هذا الطريق اخذ العترة الطاهرة للعلوم اللدنية التي نشأت من الرسول
ص واما طريق اخذ الانبياء والاولياء من المتقدمين ع باعتبار الصورة فانهم
اخذوه عن الله سبحانه من حيث توسط روحه الزكية والعلة في ذلك ان
الفيض الواصل من جناب الحق سبحانه الى الخلق لا يصل الى الناقص الا بعد مروره
على الكامل وروح النبي هي اعظم جميع ارواح الانبياء والاولياء وهو موجود قبل
الكل لما مضى من الادلة والاحاديث الدالة على ذلك واذا كان الامر كذلك
فلم يوجد نوع كمال الا من مشكاة هذا الروح الاعظم سواء كان الاخذ نبياً او ولياً
فهو ص اكمل الاولياء من حيث روحه وباطنه واكمل الانبياء من حيث ظاهره و
باطنه ولكن ظهوره بصورة النبي منعه من القيام بالولاية ظاهراً للتنافي بين
الوحدة والكثرة وظهوره باطنه بكون الولاية فيه وذلك فاقتضت الحكمة
الالهية ظهوره بصورة ولاية الرسول بعد بيته علمه والخليفة من بعده قطعه ع بصورة
كمال الولاية المحمدية فصار النبي ص ظاهر النجم النبوة وعلي ع ظاهر النجم الولاية وان
السيدان هما قطب رحى مدار الوجود وسبب حيوة كل موجود كما قال ص انا
وعلي ابوا هذه الامة ولكن نسبة علي للنبي كنسبة الانبياء والاولياء الى علي لما مضى

من التعليل وبما ان المدد من الحق سبحانه اول ما يرد على الاكمل حتى يتعدى
الى ما عداه ولم يكن اعلى من روح على بعد النبي احد لقوله صلعم خلقت انا وعلي
من نور واحد وقول النبي صلعم يا علي كنت مع الانبياء سرا يشعر بان الانبياء
من حيث ولايتهم انما يستمدون من مشكاة روحه كما انه ع يستمد من مشكاة
الرسول الخاتم ثم ان علم الاولين والاخرين قد اجتمع في عصرنا هذا للقائم المهدي
ع الذي هو حسنة من حسنات سيد المرسلين فاتصافه بشرعه
والانقياد له هو الخاتم الدائم للدائرة الوجودية وهو المسمى بقفل خزانة الملك
فما دام موجودا فالخزانة محروسة فاذا انتقل من هذه الدار لم يبق لها سوى
فهنالك يحكم الملك الجبار بخراب هذه الخزانة وينقل الامر الى خزانة الاخرة
ومن ظهور الكليات الخ لما بين قدس الله سره مراتب الوجود وبين وجه الامتياز
والفرق بين العابد والمعبود اراد ان يبين شرف الانسان من حيث هو
على سائر ما عداه وبيان ذلك يحتاج الى معرفة الانسان ومعرفة ما عداه
فنقول كلما سوى الواجب سبحانه من العوالم منحصر في ثلثة اقسام لانه اما ان
يكون اقرب نسبة الى المبدا او ابعد منها او متوسطا بينهما فالقسم الاول
هو المشار اليه بمرتبة العقول والثاني مرتبة الاجسام والثالث النفوس وسبب
قرب العقل الى المبدا كونه الطف منهما وكون وجوده غير متوقف على وجود
بخلاف العكس وسبب بعد الجسم كونه اكثف منهما ووجوده متوقف على

بدل حكمة ظهور التكليف الخ

وجودهما

وجودهما في الحقيقة بمنزلة المادة والصورة له وهو بمنزلة الجوهر الفرد لهما على
حال اختلاف المذهبين وسبب توسط النفس كونها اقرب من الجسم الى
المبدا وابعد من العقل لتوقف وجودها على العقل بل هي لكالجسم لها فهي
اكثف من العقل والطف من الجسم ومراتب الاجسام ثلاث لانها اما ان يظهر فيها
اثار العقل والنفس معا او يظهر فيها اثار النفس خاصة او لا يظهر فيها اثار
احدهما فالمرتبة الاولى اجسام الحيوانات والاجسام الفلكيات والمرتبة الثانية
الاجسام النباتية والمرتبة الثالثة الاجسام الجمادية ثم ان المرتبة التي يظهر فيها
اثار العقل والنفس اما ان يكون اثار العقل غالبة على اثار النفس دائما وهي مرتبة
الاجسام الفلكية او بالعكس وهي ان تكون مغلوبة ومقهورة دائما وهي مرتبة
الحيوانات او تكون اثار العقل تارة مغلوبة ومقهورة وتارة غالبة وقاهرة وهي
مرتبة نوع الانسان فعلم واتضح مما بينا ان الانسان ليس هو عبارة عن العقل
المجرد من حيث هو مجرد وليس هو نفس من حيث هو نفس لظهور اثار العقل من
الفلكيات وظهور اثار النفوس من الحيوانات والنباتات وليس هو الجسم من
حيث هو جسم لعدم شعور الجسم من حيث الجسمية بشيء بل ولا يستعد بنفسه
فضلا عن غيره وليس هو غير الثلاثة لانحصار ما سوى الحق سبحانه في
الاقسام الثلثة فتعين بطريق الاستدلال والذوق ان الانسان عبارة عن
البنية المحسوسة مع مجموع العقل والنفس حال التقيد في الهيكل المحسوس فهو

نبيين مبشرين ومنذرين لتكميل النفوس المقدسة الناقصة وحث رسله
على تبليغ الاحكام لئلا يكون عليه حجة فقال عز من قائل يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك من ربك وسر الحكمة في ذلك اظهار سلطنة الربوبية
وانكسار سورة العبودية واضطرارها فان اناب العبد الى ربه كان من الفائزين
وان انقلب على عقبه من الاخسرين وهو في الحالين ذليل حقير بالنسبة الى حضرة
العزيز القدير فكن مع الله كما هو معك ولا تخلط مرتبته بمرتبتك قوله او
تظنن ان المرتبة الكلية الخ بهذا البحث خاتمة الرسالة ولقد احسن في ذلك حيث
بدأ بوحدة الوجود وختم بوحدة المرتبة النبوية وجعل بحث الكثرات والتعينات
بينهما لان الابتداء بمرتبة الوحدة والختم بها انسب واعلم ايدك الله تعالى
انه قد مضى فيما تقدم ان الاتحاد تخصيص في طرف واحد الى الله سبحانه محال
لان مرتبة الوجود تابى ذلك ولهذا قيل ما ظهر بصورة مرتين فلا تجلي للواحد في
صورتين فاعلم ان الوصول هي مرتبة الاهلية وهي لمحمد ص وتلو محمد في
المرتبة بلا فصل مرتبة مدينة العلم علي ابن ابي طالب ثم الائمة الاحد عشر
ثم باقي الانبياء ثم الاولياء الامثل فالامثل وما بقي البحث الى اخر الرسالة ظاهر
غني عن الشرح والحمد لله رب العالمين وصلى الله على من لا نبي بعده
وعترته الطاهرين وقع الفراغ من مشق هذا الكتاب صبيحة يوم الاربعاء
الثالث والعشرون من شهر صفر سنة الخامسة والسبعين بعد الالف
على يد اقل الخليقة والاثني في الحقيقة كريم الله ابن السيد عطاء الله الحسيني
الجزائري مولدا الشيرازي مسكنا والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله الطاهرين

تم
تم
تم

رسالة موضوعة في معرفة ناسخ

القرآن ومنسوخه

بسم الله الرحمن الرحيم رب [illegible]

الحمد لله الذي لم ينسخ من آية الا واتى بخير منها او مثلها والصلوة على نبيه محمد وعترته
المعصومين في قولها وفعلها وبعد فان من ادعى الفقه والشرعيات التي
هي معالم الدين ولم يعرف الناسخ من المنسوخ كان مثل الحمار في الطين
وقد روي ان عبد الرحمن بن دأب صاحب ابي موسى الاشعري قد اجتمع الناس
عليه في مسجد الكوفة فجعل يخلط الماش بالدرمانش ويشوب الاباحة بالحظر
والنهي بالامر فرآه امير المؤمنين فقال له اتعرف الناسخ من المنسوخ فقال لا
قال هلكت واهلكت فاخذ اذنه ففتلها وقال لا تقص في مساجدنا بعدها
وقد رايت بعض المفسرين يقول لا منسوخ في القرآن وهولاء قوم عن الحق
صدوا وعلى السنة ردوا ولكنهم مع ان عدد الاي التي دخل عليها النسخ مائتان آية
وآية وانما اوردنا في تفسير القرآن في خلال الكلام على البيان مولف في ذلك
مختصر يكون للمتعلم تبصرة وللفقيه العالم تذكرة وكفيتم مؤنة الذات وصعوبة
التفتيش والطلب والله تعالى المعين لمن رغب **فصل** اعلم ان النسخ هو
زوال مثل الحكم الثابت بالنص الاول في المستقبل بدليل شرعي متراخ عنها
حقيقة والفرق بينه وبين البداء ظاهر لان البداء في عرف اللغة هو الظهور
واما عند المتكلمين فله شروط وهو ان يكون الفعل المامور واحدا والوجه واحدا
والوقت واحدا فكلما اختص بهذه الشرائط من امر بعد نهي او نهي بعد امر

دل على البداء وهذا غير جائز على الله سبحانه لانه عالم بالعواقب التي تخفى على من جاز
عليه البداء جاز لان المتعبد بها جاز بجميع المصالح فالذي اوجبه يحسن
حسن التعبد بالمصلحة من ذلك هو الذي اوجبه قبح التعبد ودليل النسخ يوصف بانه
ناسخ لانه كاشف عن تغير الايجاب والتسليم [illegible] يصح اضافة وصفه لله
لانه الفاعل لما هو نسخ ويوصف الحكم بذلك اذا كان دليلا والمنسوخ هو الدليل
الذي يعتبر حكمه بالدليل الناسخ والحكم يوصف بانه منسوخ لانه المقصود بالذات
والثاني هو الذي يتغير ومن حق الناسخ والمنسوخ ان يكونا شرعيين ولا يكون
واحد منهما عقليا ولا هما جميعا ومعنى النسخ لا يدخل الا في حكم مستمر وما
ليس بمستمر من ذلك لا يصح دخول هذا المعنى فيه ولا بد ايضا ان يكون مما يصح فيه
بعد الاستمرار لان ما لا يستمر على حالة واحدة لا يصح النسخ ولا معناه فيه ومن حق
الناسخ ان يكون المراد به غير المراد بالمنسوخ وان يكون منفصلا من المنسوخ
والاختلاف في انه لا يوصف مع الاتصال بذلك ومن حقه ان يكون كالمنسوخ
في وقوع العلم به **فصل** النسخ في كلام العرب هو الرفع للشيء وجاء الشرع بما
يعرف العرب وربما يختص به فالناسخ يرفع حكم المنسوخ على ما قدمنا
والمنسوخ في كتاب الله على ما فسره المفسرون على ثلثة اضرب احدها ما نسخ
خطه وحكمه كما روي عن انس انه قال كنا نقرأ على عهد رسول الله صلعم سورة
نعدلها سورة التوبة ما احفظ منها غير آية واحدة وهي لو كان لابن آدم واديان

الذاريات، الطور، الواقعة، المجادلة، المزمل، التكوير، العصر، وا
لسور التي فيها الناسخ وليس فيها منسوخ ست، الفتح، الحشر، المنافقون،
التغابن، الطلاق، الاعلى، والسور التي دخلها المنسوخ ولم يدخلها الناسخ
اربعون سورة، الانعام، الاعراف، يونس، هود، الحجر، سبحان، الكهف،
طه، المؤمنون، النمل، العنكبوت، القصص، الروم، لقمان، الم السجدة،
الملائكة، الصافات، ص، الزمر، المصابيح، الزخرف، الدخان، الجاثية،
الاحقاف، سورة محمد، ق، النجم، القمر، الممتحنة، ن، المعارج،
المدثر، القيامة، الانسان، عبس، الطارق، الغاشية، التين،
الكافرون، وما سواها لم يدخلها ناسخ ولا منسوخ وهي ثلث واربعون سورة
ام الكتاب، يوسف، يس، الحجرات، الرحمن، الحديد، الصف، الجمعة،
التحريم، الملك، الحاقة، نوح، الجن، النبا، المرسلات، النازعات، الانفطار،
المطففين، الانشقاق، البروج، الفجر، البلد، الشمس، الليل، الضحى،
الم نشرح، القلم، القدر، لم يكن، الزلزلة، العاديات، القارعة، التكاثر،
الهمزة، الفيل، قريش، ارايت، الكوثر، النصر، تبت، الاخلاص،
الفلق، الناس، واقوى ما يعرف به الناسخ من المنسوخ وكون
الناسخ ناسخا والمنسوخ منسوخا التاريخ او يكون ذلك في اللفظ او بما يكون
ذلك في اللفظ اذا كان مذكورا على وجه التفصيل وقد يكون على وجه

الجملة

الجملة في لفظ المنسوخ مثل قوله افعلوا كذا الى ان نسخه في الوقت الفلاني
كان وقت زوال العبادة فقد علم باللفظ الذي اقتضى ايجابها ومنها خارج
عن النسخ ونسخ الكتاب بالكتاب لا خلاف في جوازه اذا كان كل واحد مقطوعا
ونسخ السنة بالكتاب اقوى لان الكتاب في المرتبة على السنة لا يحصل معه
لبس وقد ذكرنا ان النسخ في اللغة ابطال شيء واقامة آخر مقامه واولى ما
يحد النسخ به شرعا ان يقال هو دليل شرعي دل على ان مثل الحكم الثابت بالنص
الاول غير ثابت في المستقبل على وجه لولاه لكان ثابتا بالنص الاول مع تراخيه
عنه فصل وقد رد الله على من ابى ذلك بقوله ما ننسخ من آية اي ما
نرفع من حكم آية وما نبدل من آية نأت بخير منها في التسهيل والتيسير كالامر
بالقتال الذي سهل على المسلمين بقوله الآن خفف الله عنكم او مثلها في
السهولة كالعبادة في التوجه الى الكعبة بعد ان كان الى بيت المقدس ومعنى
خير منها اي اصلح لنا وانفع لنا بان نستحق به مزيد الثواب ومعنى ننسها اي نامر
بتركها فان قيل فاذا كان نسخ الآية رفعها وتركها الا نزلت فما معنى ذلك
ولم يجمع بينهما قلت ليس معنى ننسها اي نؤخرها فلا نتركها ونترك بدلا منها
مما يقوم مقامها في المصلحة اي يكون اصلح للعباد منها وقد تقدم ان النسخ
في القرآن على ضروب منها اي يرفع حكم الآي وتلاوتها كما روي عن ابي انه
قال كم تقرون سورة الاحزاب قيل بضعا وسبعين آية قال فقد قراناها ونحن مع

رسول الله اطول من سورة البقرة اورده ابو علي في الحجة ومنها ان تثبت الاية
في الخط ويرفع حكمها كقوله تعالى وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فهذه
ثابتة اللفظ في الخط ويرفع حكمها ومنها ما يرفع اللفظ ويثبت الحكم كاية
الرجم قيل انها منزلة فرفع لفظها ومنه لا يه يحتاج مفسرها ان يقدر
قبل تفسيرها لان فيها مقدما ومؤخرا تقديره ومنها ما علم ما نرفع من حكم
اية نأت بخير منها او ننسها اي نتركها فلا ننسخها وقد اعترض في هذا
التاويل فقيل في القران ما بعضه خير من بعض اليس بكلام واحد
فالجواب ان معنى خير منها ان النسخ لا يخلو من احد وجهين اما ان يكون
اثقل في الحكم فيكون اوفر في الاجر واما ان يكون اخف في الحكم فيكون
ايسر في الحكم العمل وقد قدمنا ان من قرأ ننساها فمعناه نؤخر حكمها فنعمل
بها حسنا ومثله قوله واذا بدلنا اية مكان اية والمعنى حكم اية قالوا انما انت
مفتر اي خلقته من تلقاء نفسك فقال تعالى ردا عليهم بل اكثرهم لا
يعلمون لان اثبات الناسخ والمنسوخ في القران دليل على الوحدانية وا
لقدرة ونحن نشرع الان في بيان الناسخ على نظم القول بعون الله **الفاتحة**
ليس فيها شيء منه لان اولها ثناء واخرها دعاء **البقرة** قالوا فيها
ثلاثون اية منسوخة **الاولى** قوله ومما رزقناهم ينفقون فقد قال
مقاتل بن حسان وجماعة هذا ما فضل عن الزكوة نسخته الزكوة المفروضة

وقال

وقال ابو جعفر يزيد بن القعقاع نسخت الزكوة المفروضة كل صدقة في القران
ونسخ صيام شهر رمضان كل صيام في القران ونسخت ذباحة الاضحى كل
ذباحة وقال الاكثرون كانت في الزكوة المفروضة **الثالثة** قوله تعالى ان الذين امنوا
والذين هادوا فقال الاكثرون هي منسوخة ناسخها عندهم قوله ومن يبتغ
غير الاسلام دينا وقيل هي محكمة وفيه دينها المحذوف مقدر وتقديره ان
الذين امنوا ومن امن من الذين هادوا والصابئين الثالثة قوله وقولوا
للناس حسنا فقيل هي منسوخة وقيل وناسخها قوله اقتلوا المشركين وقال
الباقر عم هي محكمة اي قولوا للناس ان محمدا رسول الله وقال عطا بن ابي رباح
قولوا للناس ما تحبون ان يقال لكم الرابعة قوله فاعفوا واصفحوا نسخ ما فيها
من العفو والصفح بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر
الى قوله وهم صاغرون الخامسة قوله ولله المشرق والمغرب هذا المحكم وا
لمنسوخ منها قوله فاينما تولوا فثم وجه الله وذلك ان طائفة ارسلهم
النبي عم في سرية فعميت عليهم القبلة وصلوا الى غير جهتها فلما تبينوا
ذلك رجعوا الى رسول الله صلعم فاخبروه فنزلت الاية وقيل ولله المشرق والمغرب
وقال اهل التواريخ لما قدم رسول الله صلعم المدينة صلى نحو بيت المقدس
سبعة عشر شهرا فقالت اليهود بعد تحويل القبلة لا يخلو محمد من امرين
اما ان يكون على حق فقد رجع عنه واما ان يكون على باطل فيما كان يبلغ

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم قيل معناه
اشارة الى الامم الخالية فان الله تعالى ما ارسل نبيا الا فرض عليه وعلى امته صيام
شهر رمضان فكفرت به الامم كلها وامنت به امة محمد صلى الله عليه وسلم والتنزيل مبيح لهم و
قيل الاشارة الى النصارى فانهم اذا افطروا اكلوا وشربوا وجامعوا النسا
ما لم يناموا وكان المسلمون كذلك في صدر الاسلام ثم جاء اربعون رجلا من الصحابة
فجامعوا نساءهم بعد النوم ومنهم عمر وذلك انه اراد امراته عن نفسها فقالت لي
قد نمت وكان اذا نام احد الزوجين حرم على الاخر فلم يلتفت الى قولها وجامعها
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر لقد كنت جديرا الا تفعل فقام يبكي وكان النبي
ثم يمشي بالمدينة فراى شيخا كبيرا يقال له صرمة بن قيس يتهادى بين رجلين ورجلاه
يخطان الارض فقال عليه السلام ما لي اراك يا ابن قيس طليحا فقال اني دخلت على زوجتي
البارحة فقالت لي على رسلك حتى اسخن لك طعاما قد صنعته لك فمضت
لاسخانه فحملتني عيني فجاءتني فقالت يا لخيبة والخيبة حرم عليك الطعام والشراب
فاصبحت طاويا وعملت في ارضي فقد غشي علي من الضعف فرق له عليه السلام فنزلت احل
لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم الى قوله وكلوا واشربوا الى قوله واتموا الصيام
الى الليل فصارت الاية ناسخة لقوله كتب عليكم الثالثة عشرة قوله وعلى الذين
يطيقونه فدية طعام مسكين فكان الرجل في بدء الاسلام ان شاء صام وان شاء
افطر واطعم مكان يومه مسكينا كان افضل ولو اطعم مدا من طعام واقله

مد وما

مد حتى انزل الله قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وهذا الظاهر يحتاج الى
كشف ومعناه فمن شهد منكم الشهر حاضرا بالغا عاقلا صحيحا فليصمه هذا
ناسخ لقوله وعلى الذين يطيقونه الاية الرابعة عشرة قوله قاتلوا في سبيل
الله الذين يقاتلونكم جميعا محكم الا قوله ولا تعتدوا فقاتلوا من لا
يقاتلونكم كان هذا في الابتداء ثم نسخ الله ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم الخامسة عشرة قوله وقاتلوا المشركين
كافة اي جميعا نسخ بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الاية السادسة
عشرة قوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه صارت منسوخة
باية السيف السابعة عشرة قوله فان انتهوا فان الله غفور رحيم هذا
من الاخبار التي معناها العفو والتقدير فاعفوا عنهم واصفحوا لهم فصار ذلك
العفو والصلح منسوخا باية السيف الثامنة عشرة قوله ولا تحلقوا رؤسكم
نزلت في كعب بن عجرة فانه قال لما نزلت الحديبية مر النبي صلى الله عليه وسلم وانا اطبخ قدرا لي
والقمل تتناثر على وجهي فقال لعلك يؤذيك هوام راسك قلت نعم قال
ادع الحلاق واحلق راسك فنزل فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية
من صيام اي يحلق وعليه الكفارة اطعام التاسعة عشرة قوله يسالونك ماذا
ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين كان هذا من قبل ان تفرض الزكاة
ثم نسخ الله بها كل صدقة في القران فقال انما الصدقات للفقراء العشرون

قوله يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه وذلك انهم كانوا ممتنعون عن القتال في
الجاهلية في الاشهر الحرم حتى خرج عبد الله بن جحش وامره ان يخرج في نخل فلقي
عمرو بن الحضرمي فقتله فعير المشركون المسلمين بذلك وكان قتله في اخر يوم من
جمدى الاخر وكان ابتداء رجب فانزل الله الاية ثم صارت منسوخة بقوله
اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم يعني في الحل والحرم الحادي والعشرون قوله
يسألونك عن الخمر والميسر وذلك ان الله حرم الخمر في خمسة مواضع اولها قوله ومن
ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا وهو تفسيره من الله
تعالى لهم بتركهم رزقا حسنا فلما نزلت هذه امتنع من شربها قوم وبقي
اخرون ثم انزل الله بالمدينة يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير و
منافع للناس وانهم كانوا يبتاعونها من الشام بالثمن القليل ويبيعونها
بالحجاز بالثمن الثمين فالمنافع فيهما من الارباح والا فلا منفعة فيها لقوله ع
ان الله لم يجعل شفاء امتي فيما حرم عليها فلما سمعوا قل فيهما اثم كبير انتهى
قوم عن شربها وبقي قوم حتى دعا صحابة عبد الرحمن بن عوف قوما
واطعمهم واسقاهم الخمر فلما حضرت وقت المغرب صلى ابي بكر ابن حجون حلف
الانصار وكان اكثرهم قرانا بالناس وخلط في القراة وقد كان ممن سكر فبلغ
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا
الصلوة وانتم سكارى وكان الرجل يشرب الخمر بعد صلوة العشاء الاخرة

ثم

قد صحا ٣

ثم يبقى فيكون عند الفجر صحوا حتى دعا سعد بن ابي وقاص اناسا فاكلوا و
شربوا فاخذ رجل لحي الجزور فضرب به انف سعد فغورم فانزل الله
يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل
الشيطان فاجتنبوه فقيل هذا موضع التحريم وقيل قوله فهل انتم منتهون كما
قال في القران اتصبرون فاصبروا وفي الشعر الا تتقون اي اتقوا قالوا انتهينا
يا رسول الله واكد تحريمها بقوله انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن
والاثم والاثم هو الخمر قال الشاعر ، شربت الاثم حتى ضل عقلي ، كذاك الاثم
تلعب بالعقول ، الثانية والعشرون قوله ويسألونك ماذا
ينفقون قل العفو ومعنى العفو الفضل من المال فقرض قبل الزكوة اذا كان
للانسان مال ان يمسك منه الف درهم او قيمته من الذهب او يتصدق بما
بقي وان كانوا من اهل زراعة الارض امرهم ان يمسكوا ما يسعهم حولا ويتصدقوا
بما بقي وان كان ممن يكد بيديه يمسك ما يقوته يومه ويتصدق بما بقي فشق
عليهم ذلك فانزل الله الزكوة واسقط ذلك فصارت هذه الاية ناسخة لما قبلها
الثالثة والعشرون قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن فنسخ الله بعض احكامها
من اليهوديات والنصرانيات بالاية التي في المائدة وهي قوله اليوم احل لكم
الطيبات الى قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب والتزويج بالكتابيات
والوثنيات واجمع المفسرون على نسخ ما في البقرة واحكام ما في المائدة وعلى

لا يكلف الله نفساً الا وسعها علم الله ان الوسع لا يطاق فخفف الله الوسع بقوله
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقد قيل ان الله نسخ باول اية الدين
امرها وروى انه عليه السلام لما ذهب الى نسخ قوله او تخفوه قوله عليه السلام ان الله تجاوز
امتي عن الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه آل عمران مكية الاولى قوله فان
اسلموا فقد اهتدوا وهذا محكم والمنسوخ فان تولوا فانما عليك البلاغ نسخها
اية السيف الثانية قوله لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء من دون المومنين هذا
محكم والمنسوخ الا ان تتقوا منهم تقاة نسخها اية السيف الثالثة والرابعة والخامسة
متصلة اولها كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم الى قوله وهم لا ينظرون
نزلت في ستة رهط ارتدوا عن الاسلام ثم استثنى الله بواحد منهم يقال له سويد بن
الصامت من الانصار وذلك انه ندم على فعله فارسل الى اهله يسئلون رسول الله
هل من توبة فصارت فيه وفي كل نادم الى يوم القيمة السادسة قوله ولله
على الناس حج البيت من هذا على العموم فصار ناسخها وهو قوله من استطاع اليه
سبيلا فسئل عليه السلام عن السبيل فقال هو الزاد والراحلة وما يتعلق بها السابعة
قوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته فقالوا وما ذا حق تقاته يا رسول
الله قال حق تقاته ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر فشق فعلها
عليهم فقالوا يا رسول الله لا نطيق فقال لا تقولوا كما قالت اليهود ولكن قولوا
سمعنا واطعنا ونزل بعد ذا تفسيره وجاهدوا في الله حق جهاده وكان هذا اعظم

عليهم

عليهم من الاول حتى بين الله ذلك بسهل فنزلت فاتقوا الله ما استطعتم فصارت ناسخة
لما قبلها الثامنة قوله لن يضروكم الا اذى نسخها قوله قاتلوا الذين لا يومنون
بالله ولا باليوم الاخر التاسعة قوله وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا
موجلا هذا محكم والمنسوخ قوله ومن كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد
العاشرة قوله وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور نسخ ذلك بقوله قاتلوا
الذين لا يومنون بالله النساء مدنية الاولى للرجال نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون الى قوله معروفا نزلت في ام كجة الانصارية وفي ابنتيها وفي ابني عمها وذلك
ان بعلها مات وخلف مالا فاخذوه بنو اخيه ولم يعطوا البنات منه شيئا
وكان ذلك سنتهم في الجاهلية فجاءت امها تشكي الى رسول الله صلعم فرفقها فنزلت الاية
ثم نسخت بقوله يوصيكم الله في اولادكم فبين القسم فيها الثانية قوله تعالى
واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا
معروفا اختلفوا فيها فقيل امروا ان يجعلوا لليتامى والمساكين شيئا من المال
مخصوص بذلك وقيل امروا ان يعطوا من المال لذوي القربى وان يقولوا لليتامى
والمساكين قولا معروفا وقيل بل نسخها الله باية المواريث الثالثة قوله وليخش
الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا
سديدا وذلك ان الله امر الاوصياء بامضاء الوصية على ما امر الموصي ثم نسخها الله
بالاية التي في البقرة وهي قوله فمن خاف من موص جنفا او اثما اي علم من موص حيفا

رسم ۴

اي جورا فلا اثم عليه اي فلا جناح على الموصى اليه ان يقول للموصي لتفعل العدل
وكانت هذه ناسخة لقوله وليخش الذين لو تركوا الرابعة قوله ان
الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما لما نزلت عزل الانصار اليتامى فلم
يخالطوهم في شيء من اموالهم فلحق الضرر بالايتام لان اللبن اذا لم يحلب وا
لدابة اذا لم تركب لحق الاذى بصاحبها فرخص لشدة ما فيه من الضرر ولم يرخص
في اكل الاموال بالظلم فقال ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا
فلياكل بالمعروف قيل المعروف ههنا القرض فان ايسر رده وان مات ولم
يوسر فليس عليه شيء وصارت هذه ناسخة لقوله ان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما الخامسة قوله واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم
فاستشهدوا عليهن كان الرجل والمراة في بدء الاسلام اذا زنيا حبسا في
بيت ولم يخرجا منه حتى يموتا فهذه الاية نسخت بالسنة وكنى الله فيهما
بالذكر النساء من ذكر الرجال وقيل كانت فيهن خاصة فخرج النبي صلعم يوما
على اصحابه فقال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر
بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب الرجم فصارت هذه السنة
ناسخة لتلك الاية السادسة قوله واللذان ياتيانها منكم فاذوهما
كان البكر اذا زنيا عيرا او شتما او عيرا فجاءت الاية التي في سورة النور وهي
قوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة فصار منسوخا بها

السابعة

السابعة قوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون
من قريب يقبل الله ما احد التائبين فقال من تاب قبل موته بسنة قبل
الله توبته الا وان ذلك لكثير ثم قال الا من تاب قبل موته بنصف سنة
قبل الله توبته الا وان ذلك لكثير ثم قال من تاب قبل موته بشهر قبل
الله توبته الا وان الشهر لكثير ثم قال من تاب قبل موته بجمعة قبل الله
توبته الا وان ذلك لكثير ثم قال من تاب قال قبل موته بساعة قبل الله توبته
الا وان ذلك لكثير ثم قال من تاب قبل ان تغرغر نفسه قبل الله توبته ثم تلا
قوله ثم يتوبون من قريب فقال كلما كان قبل الموت فهو قريب ثم نسخت
بالاية التي بعدها وليست التوبة للذين يعملون السوء بجهالة السيئات
حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار فنسخت
في اهل الشرك الثامنة قوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء قيل انها محكمة
ومعناها لكن ما قد سلف فقد عفوت عنه وقيل انها منسوخة والا ما
قد سلف فانزلوا عنه وعلى هذا العمل التاسعة قوله وان تجمعوا
بين الاختين الا ما قد سلف ولا ما قد سلف العاشرة قوله يا ايها
الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض
منكم وذلك ان هذه الاية لما نزلت قالوا ان الطعام من فضل الاموال فتحرجوا
ان تواكلوا الاعمى لانه لا ينظر الى اطايب الطعام وان الاعرج لا يتمكن من

عمرة القضا وفي العام السابع سمع المسلمون تلبية المشركين وكان مع بكر بن وايل
يلبون على حدتهم ومعهم الحطم فقالوا يا رسول الله الحطم فانزل الله ولا امين البيت
الحرام الثانية قوله فاعف عنهم واصفح نسخ بقوله قاتلوا الذين لا يومنون بالله
الثالثة قوله انما جزا الذين يحاربون الله ورسوله نسخه الله بالاستثنا فقوله
الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم الرابعة قوله فان جاوك فاحكم بينهم
او اعرض عنهم قيل هي محكمة حين بين الحكم والاعراض وقيل صار منسوخا الخامسة
قوله ما على الرسول الا البلاغ نسخ باية السيف السادسة قوله يا ايها الذين
امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى هيهنا اية منسوخ وباقيها
محكم قال ابو عبيد القسم بن سلام ليس في كتاب الله اية جمعت الناسخ والمنسوخ
لا هذه الاية وليس كذلك فيه كثير من امثالها وروي عن النبي صلعم انه قرا هذه الاية
فقال يا ايها الناس انكم تقرون هذه الاية وتضعونها في مواضعها والذي نفسي
بيده لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليعمنكم الله بعقاب او لتدعون فلا يجاب
لكم والناسخ منها قوله اذا اهتديتم والهدى هيهنا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
السابعة يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم الى قوله ذوا عدل منكم محكم قيل
المنسوخ قوله او اخران من غيركم نزلت في تميم الداري وعدي بن زيد النصرانيين
وقصتهما معروفة الثامنة فان عثر على انهما استحقا اثما فاخران اي علم انهما
كذبا في الشهادة فقد ظهر قدح فضة عليهما ووجد يباع بمكة في سوق اللبية فقبض

على المنادي فتتل من اين لك فقال من عند تميم وعدي فرفعا الى رسول الله فبطلت
شهادة الذميين بشهادة المسلمين وقال بعضهم صار منسوخا التاسعة قوله ذلك
ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها او على حقيقتها او يخافوا ان ترد ايمان بعد
ايمانهم الى هيهنا منسوخ والباقي محكم الانعام انزلت بمكة الا تسع ايات وفيها
من المنسوخ خمس عشرة اية اولها قوله اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم نسخه
بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الثانية لست عليكم بوكيل
نسخت باية السيف الثالثة وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن
ذكرى لعلهم يتقون نسخ ذلك بقوله ولا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث
غيره الرابعة وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا نسخها بقوله قاتلوا الذين
لا يومنون بالله الخامسة قوله ذرهم في خوضهم يلعبون قل الله ثم ذرهم نسخها بقوله
نسخ باية السيف السادسة قوله ومن عمي فعليها وما انا عليكم بوكيل نسخت
باية السيف السابعة قوله اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو هذا محكم
وقوله فاعرض عن المشركين نسخ باية السيف الثامنة قوله وما جعلناك
عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل نسخ باية السيف التاسعة قوله ولا
تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم هذا الاية ظاهرها
الاحكام وباطنها المنسوخ لان الله امرنا بقتلهم والسب يدخل في جنب ذلك
وهو اغلظ العاشرة قوله وكلوا مما ذكر اسم الله عليه نسخ بقوله ولا تاكلوا مما

لم يذكر اسم الله عليه وكذا قوله اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا
الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم فالطعام يقع على الذبائح الحادية
عشر قوله قل يا قوم اعملوا على مكانتكم الى قوله انه لا يفلح الظالمون نسخ بآية
السيف الثانية عشر قوله ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون
نسخ بآية السيف الثالثة عشر قوله قل انتظروا انا منتظرون نسخ
بآية السيف الرابعة عشر قوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا
لست منهم في شيء انما امرهم الى الله نسخت بآية السيف الاعراف نزلت
بمكة الا آيات وهي قوله واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الى قوله
انه لغفور رحيم نزلت في اليهود بالمدينة وفيها من المنسوخ آيتان اولهما
قوله واملي لهم ان [illegible] موضع النسخ منها اي خل عنهم ودعهم وباقي الآية محكم نسخ
المنسوخ منها بآية السيف الثانية قوله خذ العفو يعني الفضل من
اموالهم منسوخ بآية الزكاة وهذه الآية من عجيب المنسوخ لان اولها منسوخ
وآخرها منسوخ ووسطها محكم وآخرها واعرض عن الجاهلين نسخ بآية السيف
ووسطها قوله وامر بالمعروف وهذا محكم وعن النبي صلى ان جبريل قال يا محمد
قد جئتك بمكارم الاخلاق من ربك قال وما ذلك قال ان الله يامرك ان تقرأ
خذ العفو وامر بالعرف قال وما ذلك قال ان الله يقول صل من قطعك واعط
من حرمك واعف عمن ظلمك الانفال نزلت بالمدينة الا آيتين وهما

بالعرف اي ...

وإذ

وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الآية يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك
من المؤمنين وفي هذه السورة ست آيات من المنسوخ اولها قوله يسألونك
عن الانفال والانفال الغنائم يقدر يسألونك الانفال وذلك ان رسول
الله صلى لما رأى ضعفهم وقلة عددهم يوم بدر قال من قتل قتيلا فله سلبه
ومن اسر اسيرا فله فداؤه فلما وضعت الحرب اوزارها نظر في الغنيمة فاذا هي
اقل من العدد فنزلت فصارت منسوخة بقوله واعلموا انما غنمتم من شيء
الثانية قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ثم نزلت آية ناسخة لها وهي
قوله وما لهم الا يعذبهم الله الثالثة قوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها الى
ههنا نسخ بآية السيف وباقيها محكم نزلت في اليهود الرابعة قوله يا ايها
النبي حرض المؤمنين على القتال المحكم والمنسوخ ان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين الى آخر الآية فانزل الله الآن خفف الله عنكم والتخفيف لا يكون الا
من ثقل فكان في الاول فرض على الرجل ان يقاتل عشرة ثم صار فرضا على الرجل
ان يقاتل رجلين الخامسة قوله الذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم
من شيء كانوا يتوارثون بالهجرة لا بالنسب حتى انزل الله واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض فتوارثوا بالنسب السادسة قوله وان استنصروكم في الدين
فعليكم النصر الى قوله تكن فتنة في الارض وفساد كبير وكان بين النبي
واحياء من العرب موادعة لا يقاتلهم ولا يقاتلونه وان احتاج اليهم عاونوه

بمكة واولا شبه ان تكون نزلت بالمدينة لان فيها قصة اربد بن قيس بن ربيعة
وعامر بن الطفيل وفي هذه السورة ايتان من المنسوخ مجمع عليهما وايتان
مختلف فيهما فالمختلف فيهما قوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على
ظلمهم نسخت بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك والظلم هنا الشرك
قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وقيل انما هو اخبار من الله وتعطف على
خلقه الرابعة قوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب فقد نسخ بقوله
قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله **ابرهيم** نزلت بمكة وهي محكمة وقيل قوله
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها محكم قوله ان الانسان لظلوم كفار نسخه
بقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم **الحجر** نزلت بمكة
فيها خمس ايات من المنسوخ اولها ذرهم ياكلوا ويتمتعوا نسخت باية السيف
الثانية قوله فاصفح الصفح الجميل منسوخ باية السيف الثالثة قوله
لا تمدن عينيك الى ما متعنا به قيل هذا قبل ان يؤمر بقتالهم ثم نسخ به
الرابعة قوله قل اني انا النذير المبين نسخ معناها لا لفظها باية السيف الخامسة
قوله فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين منسوخ باية السيف **النحل**
نزلت من اولها الى راس اربعين بمكة ومنها الى اخرها بالمدينة وفيها خمس
ايات من المنسوخ اولها قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه
سكرا ورزقا نسخت التي في المائدة وهي انما الخمر والميسر الى قوله فاجتنبوه

الثانية

الثانية قوله فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين نسخت باية السيف
الثالثة من كفر بالله من بعد ايمانه ثم استثنى فقال الا من اكره وقلبه
مطمئن بالايمان نسخها اخرها الرابعة قوله وجادلهم بالتي هي احسن نسخ
باية السيف الخامسة قوله واصبر وما صبرك الا بالله نسخت باية السيف
وفيها خلاف **بني اسرائيل** نزلت بمكة الا ايات وفيها ثلاث ايات من
المنسوخ اولها قوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه فهذا محكم وقوله
وبالوالدين احسانا هذا واجب الى قوله تعالى ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل
لهما قولا كريما هذا في اهل القبلة وغير اهل القبلة وقوله واخفض لهما جناح
الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا فاذا مات الابوان على الشرك
فليس للولد ان يترحم عليهما الثانية قوله ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم او ان
يشا يعذبكم محكم الى قوله وما ارسلناك عليهم وكيلا نسخت باية السيف الثالثة
قوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الى قوله فله الاسماء الحسنى ثم نسخ بما بعده او
بقوله في الاعراف واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة **الكهف** نزلت بمكة
وفيها من المنسوخ اية منسوخة وهي قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
الى قوله وما تشاؤون الا ان يشاء الله وقيل وعيد وهو محكم **مريم** نزلت بمكة وفيها
من المنسوخ خمس ايات اولها قوله وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر نسخ
الانذار باية السيف الثانية قوله فسوف يلقون غيا وغي واد ثم استثنى

بقوله الا من تاب الثالثة قوله وان منكم الا واردها نسخت بقوله ثم ننجي الذين اتقوا
الرابعة قوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا معناه نسخ باية
السيف الخامسة قوله فلا تعجل عليهم نسخت باية السيف طه مكية وفيها
من المنسوخ ثلاث ايات اولها قوله ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك
وحيه هذا محكم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرا سورة النجم لاصحابه فلما انتهى الى قوله
افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى زاد بعض قريش او القران تلك
الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى ورفع بها صوته وختم النبي صلى الله عليه وسلم السورة وسجد
وسجد المسلمون ومن كان حاضرا في المسجد من المشركين الا الوليد فانه اخذ كفا
من حصا المسجد فرفعه الى وجهه تكبرا فظنا منهم انه من القران فاغتم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزل تسلية له وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى
القى الشيطان في امنيته ونزل سنقرئك فلا تنسى الثانية قوله تعالى فاصبر
على ما يقولون وسبح بحمد ربك نسخت باية السيف الثالثة قوله قل كل متربص
فتربصوا نسخ باية السيف الانبيا مكية فيها ثلاث ايات منسوخة
اولها قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الى قوله وهم فيها
لا يسمعون فقال الزبعرى انا اخصم محمدا بهذا فقيل وكيف قال ان اليهود عبدت
عزيرا والنصارى عبدت المسيح ومريم وان الصابئة عبدت الملائكة ان كانوا
هولاء مع من عبدوهم في النار فقد رضينا ان نكون مع اصنامنا في النار

فانزل

فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون على انه قال
انكم وما تعبدون ولم يقل ومن تعبدون وما لما لا يعقل ومن لمن يعقل
الحج هي من اعاجيب السور لان فيها ليليا ونهاريا ومكيا ومدنيا وسفريا
وحضريا وحربيا وسلميا ومحكما ومتشابها وناسخا ومنسوخا وفيها ثلاث ايات
من المنسوخ اولها قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى
الشيطان في امنيته وقد تقدم ناسخها قوله سنقرئك فلا تنسى الثانية
قوله فان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون نسخها اية السيف الثالثة قوله وجاهدوا
في الله حق جهاده نسخها قوله فاتقوا الله ما استطعتم المؤمنون مكية فيها ايتان
من المنسوخ اولهما فذرهم في غمرتهم حتى حين نسختها اية السيف الثانية قوله ادفع
بالتي هي احسن نسخت ايضا باية السيف النور مدنية وفيها سبع ايات من المنسوخ
اولها قوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء ونسخها الله بالاستثناء
فقال الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا الثانية قوله الزاني لا ينكح الا زانية
او مشركة نسخ بقوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقال الم
قدم الزانية على الزاني وقدم السارق على السارقة في المائدة خلاف هذا
لان السرقة في الرجل اقوى والزنى يحتوي المراة فيه على اتم المغلبين الثالثة قوله
والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم نزلت في عاصم بن عدي وكان
مقدما في الانصار فقال يا رسول الله الرجل يدخل بيته فيجد مع امراته رجلا

الله بآية قبلها وهي قوله يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك سبا
مكية وفيها آية منسوخة وهي قوله قل لا تسالون عما اجرمنا ولا نسال
عما تعملون ناسخها آية السيف الملائكة مكية وفيها آية منسوخة وهي ان
انت الا نذير نسخ معناها لا لفظها بآية السيف يس مكية لا ناسخ فيها ولا
منسوخ وقيل ان قوله ولا يحزنك قولهم منسوخة بآية السيف الصافات
مكية فيها اربع آيات منسوخات كل اثنتان متصلتان وهما فتول عنهم حتى
حين وابصرهم فسوف يبصرون وبين الحسنين فرق كبير والحين الاول كناية عن
ندون الحين الثاني عن وقت امرهم بالقتال ص مكية وفيها آيتان
من المنسوخ اولهما قوله ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين نسخ معناها
لا لفظها بآية السيف قوله ولتعلمن نباه بعد حين يوم بدر وانما نسخ آية السيف
وقيل المراد بالحين الآخرة فلا نسخ حينئذ الزمر مكية وفيها تسع آيات
منسوخات الاولى قوله ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون نسخها آية
السيف الثانية قوله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم نسخ بقوله ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الثالثة قوله فاعبدوا ما شئتم
نسخت بآية السيف الرابعة قوله اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون
نسختها آية السيف الخامسة قوله من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب
مقيم كناسخ آية السيف السادسة قوله فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما

يضل

يضل عليها وما انت عليهم بوكيل السابعة قوله قل اللهم فاطر السموات
والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
المؤمن مكية وليس في القرآن سبع سور نزلن في التاليف واحدة بعد اخرى
الا الحواميم وفي هذه السورة من المنسوخ آيتان اولهما قوله واصبر ان وعد الله
حق نسختها آية السيف الثانية قوله فالحكم لله العلي الكبير نسخ الحكم في
الدنيا بآية السيف المصابيح مكية فيها آية منسوخة وهي قوله ولا تستوي
الحسنة ولا السيئة هذا محكم والمنسوخ ادفع بالتي هي احسن بآية السيف الشورى
مكية فيها من المنسوخ ثمان آيات اولها قوله ويستغفرون للذين آمنوا نسختها
التي في المؤمن الثانية قوله والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ
عليهم وما انت عليهم بوكيل نسختها آية السيف الثالثة قوله فلذلك
فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم هذا محكم وكذا قوله وقل آمنت بما
انزل الله من كتاب وما في الآية منسوخة بآية السيف الرابعة قوله من كان
يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له
في الآخرة من نصيب نسخ بالآية التي في بني اسرائيل وهي قوله من كان يريد
العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد الخامسة قوله قل لا اسالكم
عليه اجرا الا المودة في القربى هذا محكم وقد قيل ان النبي ع لما قدم المدينة
قال بعض الانصار ان رسول الله تنفذه عليه الوفود وليس عنده شيء فلو جعلنا له

ستة م

مالا من بيننا فقالوا انستاذنه فقالوا له في ذلك فنزلت والمعنى لا اطلب
على بلاغ الرسالة جعلا الا المودة في القربى اي لا تؤذوني في القرابة قرابتي
وقيل منسوخة بقوله قل ما اسالكم من اجر فهو لكم [illegible] قوله وجزاء سيئة
سيئة مثلها نسخ بقوله فمن عفى واصلح فاجره على الله [illegible] قوله ولمن انتصر
بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل والاية التي تليها نسخها بقوله ولمن
صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور الثالثة قوله ومن يضلل الله
فما له من سبيل الى قوله فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ
نسخت باية السيف الزخرف مكية وفيها ايتان منسوختان اولهما قوله
ذرهم يخوضوا ويلعبوا وقوله فاصفح عنهم وقل سلام نسختها اية السيف
الدخان مكية وفيها اية منسوخة وهي قوله فارتقب انهم مرتقبون نسختها
اية السيف الجاثية مكية وفيها اية منسوخة وهي قوله قل للذين امنوا
يغفروا للذين لا يرجون ايام الله نسختها اية السيف الاحقاف مكية وفيها
من المنسوخ ايتان قل ما كنت بدعا من الرسل الى ما ادري
ما يفعل بي ولا بكم وليس في القران منسوخ طال حكمه كهذه الاية لانها نزلت
بمكة وبقي حكمها عشر سنين فلما كان عام الحديبية خرج ووجهه يتهلل
فقال لقد نزلت الي ايات من احب الي من حمر النعم فقرا عليهم انا فتحنا لك
فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر من اي ذنب امتك

فقد

فيك وقوله وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا ليدخل المومنين والمومنات
المومنات جنات فقال المنافقون والمشركون قد اعلم الله ما يفعل به وباصحابه
فما ذا يفعل بنا فنزلت بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما ونزل ولله جنود
السموات والارض فهم اكثر من فارس والروم وليس في كتاب الله سبع كلمات
منسوخة نسختها سبع ايات الا هذه الثانية فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
نسخ معنى الصبر باية السيف سورة محمد عليه السلم مكية وقيل مدنية وفيها
ايتان من المنسوخ قوله فاما منا بعد واما فداء نسختها اية السيف وقوله ولا
يسئلكم اموالكم نسختها بقوله فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم الفتح مدنية
وليس فيها منسوخ وهي احدى العيون الستة لان فيها سبع ايات نسخت سبع
كلمات الحجرات مدنية لا ناسخ فيها ولا منسوخ ق مكية وفيها ايتان
منسوختان قوله فاصبر على ما يقولون وما انت عليهم بجبار اي بمسلط
نسختها اية السيف الذاريات مكية وفيها من المنسوخ ايتان قوله وفي اموالهم
حق للسائل والمحروم نسخ باية الزكوة وقوله فتول عنهم فما انت بملوم نسخت بقوله
وذكر فان الذكرى تنفع المومنين الطور مكية وفيها ايتان من المنسوخ قوله
قل تربصوا فاني معكم من المتربصين وقوله فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا
نسختها اية السيف وكذلك قوله فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون
النجم مكية وفيها ايتان قوله فاعرض عمن تولى عن ذكرنا نسخت باية السيف وقوله

التحريم مدنية لا ناسخ فيها ولا منسوخ الملك مكية كلها محكمة وهي السورة
التي تمنع من عذاب القبر قال النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن سورة ثلثون آية تمنع من
عذاب القبر نون مكية من اوايل ما نزل وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجب وفيها آيتان
منسوختان قوله سنستدرجهم من حيث لا يعلمون فاصبر لحكم ربك
نسختهما آية السيف الحاقة مكية لا ناسخ فيها ولا منسوخ المعارج مكية وفيها
آيتان منسوختان فاصبر صبرا جميلا فذرهم يخوضوا ويلعبوا نسختهما
آية السيف نوح والجن مكيتان ولا ناسخ فيهما ولا منسوخ المزمل مكية وفيها
ست آيات من المنسوخ اولها قم الليل فامره بقيام الليل عن لحرج ثم استثنى
بقوله الا قليلا ثم نسخ الليل منه بنصفه قال نصفه او انقص منه قليلا الى
الثلث فنسخ اسد من الليل ثلثه ثم قال او زد عليه اي من النصف الى الثلثين
الثانية قوله انا سنلقي عليك قولا ثقيلا نسخت بقوله يريد الله ان يخفف
عنكم الرابعة واهجرهم هجرا جميلا نسخت باية السيف الخامسة قوله
وذرني والمكذبين اولي النعمة ومهلهم قليلا نسخ بقوله اقتلوا المشركين
السادسة قوله فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا نسخت بقوله وما تشاؤن
الا ان يشاء الله وقال المفسرون نسخ اخر المزمل اولها المدثر مكية قال جابر
بن عبد الله هي اول القرآن نزولا وقوله ذرني ومن خلقت وحيدا نزلت
في الوليد بن المغيرة المخزومي منسوخة باية السيف القيامة مكية لا تحرك به لسانك

منسوخة

منسوخة بقوله سنقرئك فلا تنسى الانسان مكية وهي احدى السور السبع عشرة
المختلف في تنزيلها فقوله ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما محكم وا
سيرا منسوخ وقوله فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم اثما او كفورا نسخ باية السيف
الثالثة قوله فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا نسخ بقوله وما تشاؤن الا ان
يشاء الله المرسلات مكية ولا ناسخ فيها ولا منسوخ ولا في النبا والنبي صلى الله عليه وسلم ما حج
من يوم غد نزلت النازعات مكية لا ناسخ فيها ولا منسوخ عبس احدى
السور السبع عشرة المختلف في تنزيلهن والمنسوخ فمن شاء ذكره نسخ بقوله
وما تشاؤن الا ان يشاء الله التكوير مكية نزلت بين مكة والمدينة
وقوله لمن شاء منكم ان يستقيم نسخت بقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله
الانفطار مكية لا ناسخ فيها ولا منسوخ وكذا المطففين الا انهما نزلتا بين
مكة والمدينة الانشقاق مكية كلها محكمة الطارق مكية والمنسوخ
الكافرين امهلهم رويدا نسختها آية السيف الاعلى مكية فيها ناسخ وهو قوله
سنقرئك فلا تنسى الغاشية مكية وفيها منسوخ لست عليهم بمسيطر
الفجر والبلد والشمس مكيات لا ناسخ فيهن ولا منسوخ الليل احدى
السور السبع عشرة المختلف في تنزيلها كلها محكمة الضحى مكية في شان رسل
المتركين الى اليهود جميعها محكم وليس فيها ناسخ ولا منسوخ الانشراح
مكية ليس فيها ناسخ ولا منسوخ التين مكية وقوله اليس الله باحكم الحاكمين

نسخ معناها باية السيف القلم مكية كلها وهي اول تنزيل القران القدر مدنية
كلها محكمة وكذا الانفكاك الزلزلة مدنية وهي احدى السور المختلف فيهن
كلها محكمة العاديات والقارعة والتكاثر مدنيات كلهن محكمات
وكذا العصر اختلفوا فيها وقوله ان الانسان لفي خسر نسخ بالاستثنا
وكذا الهمزة في الهمزة نزلت في الاخنس بن شريك كلها محكمة الا انها
مكية الفيل وقريش مكيتان وليس فيهما ناسخ ولا منسوخ الماعون
نزلت نصفها بمكة في العاص بن وايل ونزل من قوله فويل للمصلين في
عبد الله بن سلول بالمدينة الكوثر مكية لا ناسخ فيها ولا منسوخ
الكافرون مكية وقوله لكم دينكم ولي دين منسوخ باية السيف النصر
مكية والاظهر انها نزلت بالمدينة المتبت لا ناسخ فيها ولا منسوخ
الاخلاص نزلت بالمدينة في شان اربد بن ربيعة العامري وعامر
بن الطفيل وقيل هي محكمة لا ناسخ فيها ولا منسوخ وكذا المعوذتين
اختلف في نزولها ⊙ تمت هذه الرسالة المباركة لكاتبه
صحوته يوم الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الاول سنة
الخامسة وسبعين بعد الالف بيمين
الفقير الحقير المعترف بالزلل والتقصير المحتاج
الى ربه الواحد الاحد الغني كريم الله
بن السيد عطا الله الحسيني
غفر الله لهما ولجميع المؤمنين
والمؤمنات وصلى الله
على سيدنا محمد واله
المك البرايا

وظننا انا قد قطعنا ودحض حجتنا بكلام يسير وخطاب قصير
يلزمنا به الحجة ويقطع العذر ولا نستطيع لجوابه ردا فان كنت
من اصحابه فخاطبنا بمثل خطابه قال المفضل فخرجت من المسجد
محزونا مفكرا فيما بلي به الاسلام واهله من كفر هذه العصابة
وتعطيلها فدخلت على مولاي صلوات الله عليه فرآني منكسرا
فقال ما لك فاخبرته بما سمعت من الدهريين وما رددت
عليهما فقال يا مفضل لالقين اليك من حكمة الباري جل
وعلا وتقدس اسمه في خلق العالم والسباع والبهائم والطير
والهوام وكل ذي روح من الانعام والنبات والشجر المثمرة و
غير ذات الثمر والحبوب والبقول الماكول من ذلك وغير
الماكول ما يعتبر المعتبرون ويسكن الى معرفته المؤمنون و
يتحير فيه الملحدون فبكر علي غدا قال المفضل فانصرفت من
عنده فرحا مسرورا وطالت علي تلك الليلة انتظارا لما وعدني
به فلما اصبحت غدوت فاستوذن لي فدخلت وقمت بين
يديه فامرني بالجلوس فجلست ثم نهض الى حجرة كان يخلو
فيها ونهضت بنهوضه فقال اتبعني فتبعته فدخل ودخلت
خلفه فجلس وجلست بين يديه فقال يا مفضل كاني بك و
قد طالت عليك هذه الليلة انتظارا لما وعدتك فقلت
اجل يا مولاي فقال يا مفضل ان الله كان ولا شيء قبله وهو

باق ولا نهاية له فله الحمد على ما الهمنا وله الشكر على ما منحنا فقد
خصنا من العلوم باعلاها ومن المعاني باسناها واصطفانا على
جميع الخلق بعلمه وجعلنا مهيمنين عليهم بحكمه فقلت يا مولاي
اتاذن لي ان اكتب ما تشرحه وكنت اعددت معي ما اكتب فيه
فقال لي افعل يا مفضل ان الشكاك جهلوا الاسباب والمعاني
في الخلقة وقصرت افهامهم عن تامل الصواب والحكمة فيما ذراه
الباري جل قدسه وبراه من صنوف خلقه في البر والبحر والسهل
والوعر فخرجوا بقصر علومهم الى الجحود وبضعف بصائرهم الى
التكذيب والعنود حتى انكروا خلق الاشياء وادعوا ان كونها با
لاهمال لا صنعة فيها ولا تقدير ولا حكمة من مدبر ولا صانع تعالى
الله عما يصفون وقاتلهم الله انى يوفكون فهم في ضلالهم وعماهم
وتحيرهم بمنزلة عميان دخلوا دارا قد بنيت اتقن بناء واحسنه
وفرشت باحسن الفرش والفخره واعد فيها ضروب الاطعمة والاشربة
والملابس والمآرب التي يحتاج اليها لا تستغنى عنها ووضع
كل شيء من ذلك موضعه على صواب من التقدير وحكمة من
التدبير فجعلوا يترددون فيها يمينا وشمالا ويطوفون بيوتها
ادبارا واقبالا محجوبة ابصارهم عنها لا يبصرون بنية الدار
وما اعد فيها وربما عثر بعضهم بالشيء الذي قد وضع موضعه
واعد للحاجة اليه وهو جاهل بالمعنى فيه ولما ذا اعد ولما ذا

جعل كذلك فتذمر وتسخط وذم الدار وبانيها فهذه حال هذا
الصنف في انكارهم ما انكروا من امر الخلقة واثبات الصنعة
فانهم لما عييت اذهانهم عن معرفة الاسباب والعلل في الاشيا
صاروا يجولون في هذا العالم حيارى لا يفهمون ما هو عليه من
اتقان خلقته وحسن صنعته وصواب تهيئته وربما
وقف بعضهم على الشي لجهل سببه والارب فيه فيسرع الى
ذمه ووصفه بالاحالة والخطا كالذي اقدمت عليه المنانية
الكفرة وجاهرت به الملحدة المارقة الفجرة واشباههم من اهل
الضلال المعللين انفسهم بالمحال فيحق على من انعم الله عليه
بمعرفته وهداه لدينه ووفقه لتامل التدبير في صنعة الخلائق
والوقوف على ما خلقوا له من لطيف التدبير وصواب التعبير
بالدلالة القائمة الدالة على صانعها ان يكثر حمد الله مولاه
على ذلك ويرغب اليه في الثبات عليه والزيادة منه فانه
جل اسمه يقول لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي
لَشَدِيدٌ يا مفضل اول العبر والادلة على البارى جل قدسه
تهيئة هذا العالم وتاليف اجزائه ونظمها على ما هي عليه
فانك اذا تاملت العالم بفكرك وميزته بعقلك وجدته
كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج اليه عباده فالسماء
مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم منضودة

كالمصابيح والجواهر مخزونة كالذخائر وكل شيء فيها لشانه معدو
الانسان كالمملك ذلك البيت والمخول جميع ما فيه وضروب
النبات مهياة لمآربه وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه
ومنافعه ففي هذا دلالة واضحة على ان العالم مخلوق بتقدير
وحكمة ونظام وملائمة وان الخالق له واحد وهو الذي الفه
ونظم بعضا الى بعض جل قدسه وتعالى جده وكرم وجهه ولا
اله غيره تعالى عما يقول الجاحدون وجل وعظم عما ينتحله الملحدون
سنبتدئ يا مفضل بذكر خلق الانسان فاعتبر به فاول ذلك
ما يدبر به الجنين في الرحم وهو محجوب في ظلمات ثلاث ظلمة
البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة حيث لا حيلة عنده في طلب
غذاء ولا دفع اذى ولا استجلاب منفعة ولا دفع مضرة فانه
يجري اليه من دم الحيض ما يغذوه كما يغذو الماء النبات فلا
يزال ذلك غذاؤه حتى كمل خلقه واستحكم بدنه وقوى اديمه
على مباشرة الهواء وبصره على ملاقات الضياء هاج الطلق
بامه فازعجه اشد ازعاج واعنفه حتى يولد فاذا ولد صرف
ذلك الدم الذي كان يغذوه من دم امه الى ثدييها فانقلب الطعم
واللون الى ضرب آخر من الغذاء وهو اشد موافقة للمولود من
الدم فيوافيه في وقت حاجته اليه فحين يولد قد تلمظ وحرك
شفتيه طلبا للرضاع فهو يجد ثديي امه كالاداوتين المعلقتين

اذا
الطلق وجع الولادة ق
زعجه كمنعه اقلعه من مكانه ق

بذهن ضعيف ومعرفة ناقصة ثم لا يزال يتزيد في المعرفة قليلاً
قليلاً وشيئاً بعد شيء وحالا بعد حال حتى يألف الاشياء ويتمرن
ويستمر عليها فيخرج من حد التأمل لها والحيرة فيها الى التصرف
والاضطراب في المعاش بعقله وحيلته والى الاعتبار والطاعة
والسهو والغفلة والمعصية وفي هذا ايضاً وجوه اخر فانه لو كان
يولد تام العقل مستقلا بنفسه لذهب موضع حلاوة تربية الا
ولاد وما قدر ان يكون للوالدين في الاشتغال بالولد من المصلحة
وما يوجب التربية للآباء على الابناء من المكافات بالبر والعطف
عليهم عند حاجتهم الى ذلك منهم ثم كان الاولاد لا يألفون
آباءهم ولا يألف الآباء ابناءهم لان الاولاد كانوا يستغنون
عن تربية الآباء وحياطتهم ويتفرقون عنهم حين يولدون فلا يعرف
الرجل اباه وامه ولا يمتنع من نكاح امه واخته وذوات المحارم
منه اذا كان لا يعرفهن واقل ما في ذلك من القباحة بل هو اشنع
واعظم وافظع واقبح واشنع لو خرج المولود من بطن امه وهو يعقل
ان يرى منها ما لا يحل له ولا يحسن به ان يراه افلا ترى كيف اقيم
كل شيء من الخلقة على غاية الصواب وخلا من الخطاء دقيقه
وجليله اعرف يا مفضل ما للاطفال في البكاء من المنفعة
واعلم ان في ادمغة الاطفال رطوبة ان بقيت فيها احدثت
عليهم احداثاً جليلة وعللاً عظيمة من ذهاب البصر وغيره فالبكا

يسيل تلك الرطوبة من رؤوسهم فيعقبهم ذلك الصحة في ابدانهم
والسلامة في ابصارهم أفليس قد جاز ان يكون الطفل ينتفع
بالبكاء ووالداه لا يعرفان ذلك فهما دائبان ليسكتانه ويتوخيان
في الامور مرضاته لئلا يبكي وهما لا يعلمان ان البكاء اصلح له
واجمل عاقبة فهكذا يجوز ان يكون في كثير من الاشياء منافع
لا يعرفها القائلون بالاهمال ولو عرفوا ذلك لم يقضوا على الشيء
انه لا منفعة فيه من اجل انهم لا يعرفونه ولا يعلمون السبب فيه
فان كل ما لا يعرفه المنكرون يعلمه العارفون وكثير مما يقصر عنه
علم المخلوقين محيط به علم الخالق جل قدسه وعلت كلمته فاما ما
يسيل من افواه الاطفال من الريق ففي ذلك خروج الرطوبة التي لو
بقيت في ابدانهم الامور العظيمة كمن تراه قد غلبت عليه الرطوبة
فاخرجته الى حد البله والجنون والتخليط الى غير ذلك من الامراض
المتلفة كالفالج واللقوة وما اشبههما فجعل الله تلك الرطوبة
تسيل من افواههم في صغرهم لما لهم في ذلك من الصحة في
كبرهم فتفضل على خلقه بما جهلوه ونظر لهم بما لم يعرفوه ولو عرفوا
نعمه عليهم لشغلهم ذلك عن التمادي في معصيته فسبحانه ما
اجل نعمته واسبغها على المستحقين وغيرهم من خلقه وتعالى
عما يقول المبطلون علوا كبيرا انظر الآن يا مفضل كيف
جعلت آلات الجماع في الذكر والانثى جميعا على ما يشاكل ذلك

لاحدثت عليهم

فجعل للذكر آلة ناشرة تمتدّ حتى تصل النطفه الى الرحم اذ كان محتاجًا
الى ان يقذف ماءه فى غيره وخلق للانثى وعاء قعرًا ليشتمل على
المائين جميعًا ويحتمل الولد ويتسع له ويصونه حتى يستحكم اليس
ذلك من تدبير حكيم لطيف سبحانه وتعالى عما يشركون فكر
يا مفضل فى اعضاء البدن اجمع وتدبير كل منها للارب فاليدان
للعلاج والرجلان للسعى والعينان للاهتداء والفم للاغتذاء
والمعدة للهضم والكبد للتخليص والمنافذ لتنفيذ الفضول
والاوعية لحملها والفرج لاقامة النسل وكذلك جميع الاعضاء
اذا تاملتها واعملت فكرك ونظرك وجدت كل شئ منها
قد قدّر لشئ على صواب وحكمة قال المفضل فقلت يا مولاى
ان قومًا يزعمون ان هذا من فعل الطبيعة فقال سلهم عن
هذه الطبيعة اهى شئ له علم وقدرة على هذه الافعال ام
ليست كذلك فان اوجبوا لها العلم والقدرة فما يمنعهم من
اثبات الخالق فان هذه صنعته وان زعموا انها تفعل هذه
الافعال بغير علم ولا عمد وكان فى افعالها ما قد تراه من الصواب
والحكمة علم ان هذا الفعل للخالق الحكيم وان الذى سموه طبيعة
هو سنته فى خلقه الجاريه على ما اجراها عليه فكر يا مفضل
فى وصول الغذاء الى البدن وما فيه من التدبير فان الطعام
يصير الى المعدة فتطبخه وتبعث بصفوه الى الكبد فى عروق دقاق

واشجة بينهما قد جعلت كالمصفى للغذاء لكيلا يصل الى الكبد
منه شئ فينكاها وذلك ان الكبد رقيقة لا تحتمل العنف ثم ان
الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دمًا وينفذه الى البدن
كله فى مجار مهيأة لذلك بمنزلة المجارى التى تهيا للماء حتى تطرده
فى الارض كلها وينفذ ما يخرج من الخبث والفضول الى مغايض
قد اعدت لذلك فما كان منه من جنس المرة الصفراء جرى الى
المرارة وما كان من جنس السوداء جرى الى الطحال وما كان من
البلة والرطوبة جرى الى المثانة فتامل حكمة التدبير فى تركيب
البدن ووضع هذه الاعضاء منه مواضعها واعداد هذه
الاوعيه فيه لتحمل تلك الفضول لئلا تنتشر فى البدن فتسقمه
وتنهكه فتبارك من احسن التقدير واحكم التدبير وله الحمد
كما هو اهله ومستحقه قال المفضل صف نشو الابدان ونموها
حالا بعد حال حتى تبلغ التمام والكمال فقال عليه السلام اول
ذلك تصوير الجنين فى الرحم حيث لا تراه عين ولا تناله يد
ويدبره حتى يخرج سويًا مستوفيًا جميع ما فيه قوامه وصلاحه
من الاحشاء والجوارح والعوامل الى ما فى تركيب اعضائه من
العظام واللحم والشحم والمخ والعصب والعروق والغضاريف
فاذا خرج الى العالم تراه ينمى بجميع اعضائه وهو ثابت على شكله و
هيئته لا تتزايد ولا تنقص الى ان يبلغ اشده ان مدّ فى عمره

بل يجهل كثيراً مما يهتدي اليه البهايم افلا ترى كيف صارت
الجوارح والعقل وساير الخلال التي بها صلاح الانسان
والتي لو فقد منها شيئاً لعظم ما يناله في ذلك من الخلل يوافي
خلقته على التمام حتى لا يفقد شيئاً منها فلم كان كذلك الا
لانه خلق بعلم وتقدير قال المفضل فقلت فلم صار بعض الناس
يفقد شيئاً من هذه الجوارح فيناله في ذلك مثل ما وصفته
يا مولاي قال ذلك للتاديب والموعظة لمن يحل ذلك به ولغيره
وبسببه كما قد يؤدب الملوك الناس للتنكيل والموعظة فلا
ينكر ذلك عليهم بل يحمد من رايهم ويستصوب من تدبيرهم
ثم ان للذين تنزل بهم هذه البلايا من الثواب بعد الموت ان
شكروا وانابوا ما يستصغرون معه ما ينالهم منها حتى انهم
لو خيروا بعد الموت لاختاروا ان يردوا الى البلايا ليزدادوا
من الثواب تفكر يا مفضل في الاعضاء التي خلقت افراداً
وازواجاً وما في ذلك من الحكمة والتقدير والصواب في
التدبير فالراس مما خلق فرداً ولم يكن للانسان صلاح في
ان يكون اكثر من واحد الا ترى انه لو اضيف الى راس الانسان
راس اخر لكان ثقلاً عليه من غير حاجة اليه لان
الحواس التي يحتاج اليها مجتمعة في راس واحد ثم كان
الانسان ينقسم قسمين لو كان له راسان فان تكلم من

فكر

احدهما كان الآخر معطلاً لا ارب فيه ولا حاجة اليه وان تكلم
منهما جميعاً بكلام واحد كان احدهما فضلاً لا يحتاج اليه و
ان تكلم باحدهما بغير الذي تكلم به من الاخر لم يدر السامع
باي ذلك ياخذ واشباه هذا من الاخلاط واليدان مما خلق
ازواجاً ولم يكن للانسان خير في ان يكون له يد واحدة لان
ذلك يخل به فيما يحتاج الى معالجته من الاشياء الا ترى ان
النجار والبناء لو شلت احدى يديه لا يستطيع ان يعالج صناعته
وان تكلف ذلك لم يحكمه ولم يبلغ منه ما يبلغه اذا كانت له
يدان تتعاونان على العمل اطل الفكر يا مفضل في الصوت و
الكلام وتهيئة الاته في الانسان فالحنجرة كالانبوبة لخروج
الصوت واللسان والشفتان والاسنان لصياغة الحروف
والنغم الا ترى ان من سقطت اسنانه لم يقم السين ومن سقطت
شفته لم يفصح الفاء ومن ثقل لسانه لم يفصح الراء واشبه شيء
بذلك المزمار الاعظم فالحنجرة تشبه قصبة المزمار والرية
تشبه الزق الذي ينفخ فيه ليدخله الريح والعضلات التي
تقبض الرية ليخرج الصوت كالاصابع التي تقبض على الزق
حتى تجري الريح في المزمار والشفتان والاسنان التي تصوغ
الصوت حروفاً ونغماً كالاصابع التي تختلف في فم المزمار
فتصوغ صفيره الحاناً غير انه وان كان مخرج الصوت يشبه

الاختلاط

علي

المزمار بالدلالة والتعريف فان المزمار بالحقيقة هو المشبه
بمخرج الصوت قد انبأتك عما في الاعضاء من الغنا في صنعة
الكلام واقامة وفيها مع الذي ذكرت لك مآرب اخرى
فالحنجرة تسلك فيها هذا النسيم الى الرية وتروح عن الفواد
بالنفس الدائم المتتابع الذي لو احتبس شيئا يسيرا لهلك الانسان
وباللسان تذاق الطعوم فتميز بينها وتعرف كل واحد منها
حلوها من مرها وحامضها من مزها ومالحها من عذبها و
طيبها من خبيثها وفيه مع ذلك معونة على اساغة الطعام
والشراب والاسنان لمضغ الطعام حتى تلين وتسهل اساغته
وهي مع ذلك كالسند للشفتين تمسكهما وتدعمهما من داخل
الفم واعتبر بذلك فانك ترى ان من سقطت اسنانه
مسترخي الشفة ومضطربها وبالشفتين يترشف الشراب
حتى يكون الذي يصل الى الجوف بقصد وقدر لا يثج ثجا فيغص
به الشارب او ينكا في الجوف ثم هما بعد ذلك كالباب
المطبق على الفم يفتحهما اذا شا ويطبقهما ففيما وصفنا من
هذا بيان ان كل واحد من هذه الاعضاء ينصرف وينقسم
الى وجوه من المنافع كما تتصرف الاداة الواحدة في اعمال شتى
وذلك كالفاس تستعمل في النجارة والحفر وغيرهما من
الاعمال ولو رايت الدماغ اذا كشفت عنه لرايته قد لف بحجب

بعضها

بعضها فوق بعض لتصونه من الاعراض وتمسكه فلا يضطرب
ولرايت عليه الجمجمة بمنزلة البيضة كيما تقيه هدة الصدمة
والنكبة التي ربما وقعت في الراس ثم قد جللت بالشعر حتى
صار بمنزلة الفرو للراس من شدة البرد والحر فمن حصن
الدماغ هذا التحصين الا الذي خلقه وجعله ينبوع
الحس والمستحق للحياطة والصيانة بعلو منزلته من البدن
وارتفاع درجته وخطر مرتبته تامل يا مفضل الجفن على
العين كيف جعل كالغشا والاشفار كالاشراج واولجها
في هذا الغار واظلها بالحجاب وما عليه من الشعر يا مفضل
من غيب الفواد في جوف الصدر وكساه المدرعة التي هي
غشاوة وحصنه بالجوانح وما عليها من اللحم والعصب لئلا
يصل اليه ما ينكاه من جعل في الحلق منفذين احدهما لمخرج
الصوت وهو الحلقوم المتصل بالرية والاخر منفذ للغذاء
وهو المري المتصل بالمعدة الموصل الغذاء اليها وجعل على
الحلقوم طبقا يمنع الطعام ان يصل الرية فيقتل من جعل
الرية مروحة الفواد لا تفتر ولا تخل لكيلا تتحير الحرارة
في الفواد فتودي الى التلف من جعل لمنافذ البول والغائط
اشراجا تضبطهما لئلا يجريا جريانا دائما فيفسد على الانسان
عيشه فكم عسى ان يحصي المحصي من هذا بل الذي لا يحصى

والنساء جميعاً فقدر الله جل اسمه ان يكون اكثر ذلك لا يبدو
للبصر في كل وقت ولا يكون على الرجال منه مؤنة بل جعل فيه
القوة على الانتصاب وقت ولا يكون على الرجال منه مؤنة بل
جعل فيه قوة الى الحاجة الى ذلك لما قدر ان يكون فيه من
دوام النسل وبقائه اعتبر الآن يا مفضل بعظم النعمة على الانسان
في مطعمه ومشربه وتسهيل خروج الاذى أليس من حسن التقدير هذا
في بناء الدار ان يكون الخلاء في استر موضع منها فهكذا جعل
الله سبحانه المنفذ المهيأ للخلاء من الانسان من استر موضع
منه فلم يجعله بارزا من خلفه ولا ناشزا من بين يديه بل هو
مغيب في موضع غامض من البدن مستور محجوب يلتقي
عليه الفخذان وتحجبه الاليتان بما عليهما من اللحم فيواريانه
فاذا احتاج الانسان الى الخلاء وجلس تلك الجلسة القى ذلك
المنفذ منه منصبا مهيئا لانحدار الثفل فتبارك من تظاهرت
آلاؤه ولا تحصى نعماؤه فكر يا مفضل في هذه الطواحن التي
جعلت للانسان فبعضها حداد لقطع الطعام وقرضه وبعضها
عراض لمضغه ورضه فلم ينقص واحد من الصفتين اذ كان
محتاجا اليهما جميعا تأمل واعتبر بحسن التدبير في خلق
الشعر والاظفار فانهما لما كانا مما يطول ويكثر حتى يحتاج
الى تخفيفه اولا فاولا جعلا عديمي الحس لئلا يؤلم الانسان

الاخذ منهما ولو كان قص الشعر وتقليم الاظفار مما يوجد له
مس ذلك لكان الانسان من ذلك بين مكروهين اما ان
يدع كل واحد منهما حتى يطول فيثقل عليه واما ان يخففه
بوجع والم يتألم منه قال المفضل فقلت فلم لم يجعل ذلك خلقة
لا تزيد فيحتاج الانسان الى النقصان منه فقال عليه السلام
ان لله تبارك اسمه في ذلك على العبد نعما لا يعرفها فيحمده عليها
اعلم ان آلام البدن وادواءه تخرج بخروج الشعر في مسامه وبخروج
الاظفار من اناملها ولذلك امر الانسان بالنورة وحلق الراس و
قص الاظفار في كل اسبوع ليسرع الشعر والاظفار في النبات فتخرج
الآلام والادواء بخروجهما واذا طالا تحيرا وقل خروجهما
فاحتبست الآلام والادواء في البدن واحدثت عللا واوجاعا
ومنع مع ذلك الشعر من المواضع التي تضر بالانسان وتحدث
عليه الفساد والضرر لو نبت الشعر في العين الم يكن سيعمي
البصر ولو نبت في الفم الم يكن سينغص على الانسان طعامه و
شرابه ولو نبت في باطن الكف الم يكن سيعوقه عن صحة اللمس
وبعض الاعمال ولو نبت في فرج المرأة او على ذكر الرجل الم يكن
سيفسد عليهما لذة الجماع فانظر كيف تنكب الشعر هذه المواضع
لما في ذلك من المصلحة ثم ليس هذا في الانسان فقط بل تجده
في البهائم والسباع وسائر المتناسلات فانك ترى اجسامها

مهن

مجللة بالشعر وترى هذه المواضع خالية منه لهذا السبب
بعينه فتأمل الخلقة كيف تجتنب وجوه الخطاء والمضرة وتأتي
بوجوه الصواب والمنفعة ان المنانية واشباههم حين
اجتهدوا في عيب الخلقة والعمد عابوا الشعر النابت على
الركب والابطين ولم يعلموا ان ذلك من رطوبة تنصب الى
هذه المواضع فينبت فيها الشعر كما ينبت العشب في مستنقع
المياه افلا ترى الى ان هذه المواضع استر واهيا لقبول تلك
الفضلة من غيرها ثم ان هذه تعد مما يحمل الانسان من مؤنة
هذا البدن وتكاليفه لما له في ذلك من المصلحة فان اهتمامه
بتنظيف بدنه واخذ ما يعلوه من الشعر مما يكسر شرته و
يكف عاديته ويشغله عن بعض ما يخرجه اليه الفراغ من
الاشر والبطالة تامل الريق وما فيه من المنفعة فانه جعل يجري
جريانا دائما الى الفم ليبل الحلق واللهوات فلا يجف فان
هذه المواضع لو جعلت كذلك كان فيه هلاك الانسان
ثم كان لا يستطيع ان يسيغ طعاما اذا لم يكن في الفم بلة تنفذه
تشهد بذلك المشاهدة واعلم ان الرطوبة مطية الغذاء
وقد تجري من هذه البلة الى موضع اخر من المرة فيكون في
ذلك صلاح تام للانسان ولو يبست المرة لهلك الانسان ولقد
قال قوم من جهلة المتكلمين وضعفة المتفلسفين لقلة التمييز

وقصور العلم لو كان بطن الانسان كهيئة القبا يفتحه الطبيب
اذا شاء فيعاين ما فيه ويدخل يده فيعالج ما اراد علاجه الم
يكن اصلح من ان يكون مصمتا محجوبا عن البصر واليد لا تعرف
ما فيه الا بدلالات غامضة مثل النظر الى البول وجس العرق
وما اشبه ذلك مما يكثر فيه الغلط والشبهة حتى ربما كان ذلك
سببا للموت فلو علم هؤلاء الجهلة ان هذا لو كان هكذا كان
اول ما فيه انه كان يسقط عن الانسان الوجل من الامراض و
الموت وكان يستشعر البقاء ويغتر بالسلامة فيخرجه ذلك
الى العتو والاشر ثم كانت الرطوبات التي في البطن تترشح وتتحلب
فتفسد على الانسان مقعده ومرقده وثياب بذلته وزينته
بل كان يفسد عليه عيشه ثم ان المعدة والكبد والفواد انما
تفعل افعالها بالحرارة الغريزية التي جعلها [الله] محتبسة في الجوف فلو
فلو كان في البطن فرج تنفتح حتى يصل البصر الى رؤيته واليد
الى علاجه لوصل برد الهوى الى الجوف فمازج الحرارة الغريزية وبطل
عمل الاحشاء فكان في ذلك هلاك الانسان افلا ترى ان كل
ما تذهب اليه الاوهام سوى ما جاءت به الخلقة خطا [عليه] فكر
يا مفضل في الافعال التي جعلت في الانسان من الطعم والنوم
والجماع وما دبر فيها فانه جعل لكل واحد في الطباع نفسه محرك
يقتضيه ويستحث به فالجوع يقتضي الطعم الذي به حيوة

وخطل

منها

النفس

من الغنى كالذي اوضحته بالوصف الشافي والمثل المضروب
من التدبير والحكمة فيها تأمل يا مفضل هذه القوى التي في
النفوس وموقعها من الانسان اعني الفكر والوهم والعقل
والحفظ وغير ذلك افرأيت لو نقص الانسان من هذه
الخلال الحفظ وحده كيف كانت تكون حاله وكم من خلل
كان يدخل عليه في اموره ومعاشه وتجاربه اذا لم يحفظ
ما له وعليه وما اخذ وما اعطى وما رأى وما سمع وما
قال وقيل له ولم يذكر من احسن اليه ممن اساء به وما نفعه
مما ضره ثم كان لا يهتدي لطريق لو سلكه ما لا يحصى ولا يحفظ
علماً ولو درسه عمره ولا يعتقد ديناً ولا ينتفع بتجربة ولا
ولا يستطيع ان يعتبر شيئاً على ما مضى بل كان حقيقاً ان ينسلخ
من الانسانية اصلاً فانظر الى النعمة على الانسان في هذه
الخلال وكيف موقع الواحدة منها دون الجميع واعظم من
النعمة على الانسان في الحفظ النعمة في النسيان فانه لولا النسيان
لما سلا احد عن مصيبة ولا انقضت له حسرة ولا مات له
حقد ولا استمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكر الآفات ولا
رجا غفلة من سلطان ولا فترة من حاسد افلا ترى كيف
جعل في الانسان الحفظ والنسيان وهما مختلفان متضادان
وجعل له في كل منهما ضرب من المصلحة وما عسى ان يقول

ولحيده

الذين

الذين قسموا الاشياء بين خالقين متضادين في هذه الا
شياء المتضادة المتباينة وقد تراها تجتمع على ما فيه الصلاح
والمنفعة انظر يا مفضل الى ما خص به الانسان دون جميع الحيوان
من هذا الخلق الجليل قدره العظيم عناؤه اعني الحياء
فلولاه لم يقر ضيف ولم يوف بالعدات ولم تقض الحوائج
ولم يتحر الجميل ولم يتنكب القبيح في شيء من الاشياء حتى ان
كثيراً من الامور المفترضة ايضاً انما يفعل للحياء فان من
الناس من لولا الحياء لم يرع حق والديه ولم يصل ذا رحم ولم
يؤد امانة ولم يعف عن فاحشة افلا ترى كيف وفي الانسان
جميع الخلال التي فيها صلاحه وتمام امره تأمل يا مفضل
ما انعم الله تقدست اسماؤه به على الانسان من هذا
النطق الذي يعبر به عما في ضميره وما يخطر بقلبه وينتجه فكره
وبه يفهم عن غيره ما في نفسه ولولا ذلك بمنزلة البهائم المهملة

كان

التي لا تخبر عن نفسها بشيء ولا تفهم عن مخبر شيئاً وكذلك
الكتابة التي بها تقيد اخبار الماضين للباقين واخبار الباقين
للآتين وبها تخلد الكتب في العلوم والآداب وغيرها وبها
يحفظ الانسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات
والحساب ولولاها لانقطع اخبار بعض الازمنة عن بعض
واخبار الغائبين عن اوطانهم ودرست العلوم وضاعت

الاداب وعظم ما يدخل على الناس من الخلل في امورهم ومعاملاتهم
وما يحتاجون الى النظر فيه من امر دينهم وما روي لهم مما لا
يسعهم جهله ولعلك تظن انهما مما يخلص اليه بالحيله والفطنة
وليست مما اعطيه الانسان من خلقه وطباعه وكذلك
الكلام انما هو شي يصطلح عليه الناس فيجري بينهم ولهذا
صار يختلف في الامم المختلفه بالسن مختلفه وكذلك الكتابة
ككتابة العربي والسرياني والعبراني والرومي وغيرها من
ساير الكتابة التي هي متفرقة في الامم انما اصطلحوا عليها كما
اصطلحوا على الكلام فيقال لمن ادعى ذلك ان الانسان
وان كان له في الامرين جميعا فعل او حيلة فان الشي الذي
يبلغ به ذلك الفعل والحيله عطية وهبة من الله عز وجل
له في خلقته فانه لم يكن له لسان مهيا للكلام وذهن
يهتدي به للامور لم يكن ليتكلم ابدا ولو لم يكن له كف مهيأة
واصابع للكتابة لم يكن ليكتب ابدا واعتبر ذلك من البهايم
التي لا كلام لها ولا كتابة فاصل ذلك فطرة الباري جل وعز
وما تفضل به على خلقه فمن شكر اثيب ومن كفر فان الله غني
عن العالمين فكر يا مفضل فيما اعطي الانسان علمه وما منع
فانه اعطي علم جميع ما فيه صلاح دينه ودنياه فمما فيه صلاح
دينه معرفة الخالق تبارك وتعالى بالدلايل والشواهد القائمة

والفطنه
الله
لو
من

في الخلق ومعرفة الواجب عليه من العدل على الناس كافة
وبر الوالدين واداء الامانة ومواساة اهل الخلة واشباه
ذلك مما قد توجد معرفته والاقرار والاعتراف به في الطبع و
الفطرة من كل امة موافقة او مخالفة وكذلك اعطي علم ما
فيه صلاح دنياه كالزراعة والغراس واستخراج الارضين
واقتناء الاغنام والانعام واستنباط المياه ومعرفة العقاقير
التي يستشفى بها من ضروب الاسقام والمعادن التي يستخرج
منها انواع الجواهر وركوب السفن والغوص في البحر وضروب
الحيل في صيد الوحش والطير والحيتان والتصرف في الصناعات
ووجوه المتاجر والمكاسب وغير ذلك مما يطول شرحه ويكثر
تعداده مما فيه صلاح امره في هذه الدار فاعطي علم ما يصلح
به دينه ودنياه ومنع ما سوى ذلك مما ليس في شانه ولا طاقته ان
يعلم كعلم الغيب وما هو كاين وبعض ما قد كان ايضا كعلم
ما فوق السماء وما تحت الارض وما في لجج البحر واقطار العالم
وما في قلوب الناس وما في الارحام واشباه هذا مما حجب على
الناس علمه وقد ادعت طائفة من الناس هذه الامور
فابطل دعواهم ما تبين من خطاهم فيما يقضون عليه و
يحكمون به فيما ادعوا علمه فانظر كيف اعطي الانسان علم جميع
ما يحتاج اليه لدينه ودنياه وحجب عنه ما سوى ذلك ليعرف

البحار

مع ترقبه للموت كل ساعة لا يمتنع عن المعاصي فانه لو وثق
بطول البقاء كان احرى ان يخرج الى الكباير الفظيعة فترقب
الموت على كل حال خير له من الثقة بالبقاء ثم ان ترقب الموت
وان كان صنفا من الناس يلهون عنه ولا يتعظون به فقد يتعظ
به صنف اخر منهم وينزعون عن المعاصي ويؤثرون العمل
الصالح ويجودون بالاموال والعقايل النفيسة في الصدقة
على الفقراء والمساكين فلم يكن من العدل ان يحرم هؤلاء
الانتفاع بهذه الخصلة لتضييع اولئك حظهم منها فكر في
الاحلام كيف دبر الامر فيها فمزج صادقها بكاذبها فانها
لو كانت كلها تصدق لكان الناس كلهم انبياء ولو كانت
كلها تكذب لم يكن فيها منفعة بل كانت فضلا لا معنى له فصارت
تصدق احيانا فينتفع بها الناس في مصلحة يهتدى بها
او مضرة يتحرز منها وتكذب كثيرا لئلا يعتمد عليها كل الا
عتماد فكر في هذه الاشياء التي تراها موجودة معدة في
العالم من مآربهم فالتراب للبناء والحديد للصناعات
والخشب للسفن وغيرها والحجارة للارحاء وغيرها والنحاس
للاواني والذهب والفضة للمعاملة والجواهر للذخيرة والحبوب
للغذاء والثمار للتفكه واللحم للماكل والطيب للتلذذ والادوية
للتصحيح والدواب للحمولة والحطب للتوقد والرماد للكلس

صنف

يا مفضل

في

والرمل

والرمل للارض وكم عسى ان يحصي المحصي من هذا وشبهه
ارايت لو ان داخلا دخل دارا فنظر الى خزاين مملوة من كل
ما يحتاج اليه ورأى كل ما فيها مجموعا معدا لاسباب معروفة
اكان يتوهم ان مثل هذا يكون بالاهمال ومن غير عمد
فكيف يستجيز قايل ان يقول هذا في العالم وما اعد فيه
من هذه الاشياء اعتبر يا مفضل باشياء خلقت لمآرب
الانسان وما فيها من التدبير فانه خلق له الحب لطعامه و
كلف طحنه وعجنه وخبزه وخلق له الوبر لكسوته وكلف
ندفه وغزله ونسجه وخلق له الشجر فكلف غرسها وسقيها والقيام
عليها وخلقت له العقاقير لادويته فكلف لقطها وخلطها
وصنعها وكذلك تجد ساير الاشياء على هذا المثال فانظر
كيف كفي الخلقة التي لم تكن عنده فيها حيلة وترك عليه
في كل شيء من الاشياء موضع عمل وحركة لما له في ذلك من
الصلاح لانه لو كفي هذا كله حتى لا يكون له في الاشياء موضع
شغل وعمل لما حملته الارض اشرا وبطرا ولبلغ به ذلك الى
ان يتعاطى امورا فيها تلف نفسه ولو كفي الناس كل ما يحتاجون
اليه لما تهنؤا بالعيش ولا وجدوا له لذة الا ترى لو ان
امرءا نزل بقوم فاقام حينا يبلغ جميع ما يحتاج اليه من مطعم
ومشرب وخدمة لتبرم بالفراغ ونازعته نفسه الى التشاغل

تما

الناس صح

بشئ فكيف لو كان طول عمره مكفيا لا يحتاج الى شئ وكان
من صواب التدبير في هذه الاشياء التي خلقت للانسان
ان جعل له فيهما موضع شغل لكيلا تبرمه البطالة وليكفه الشغل
عن تعاطي ما لا يناله ولا خير فيه ان ناله واعلم يا مفضل
ان راس معاش الانسان وحياته الخبز والماء فانظر كيف دبر
الامر فيهما فان حاجة الانسان الى الماء اشد من حاجته
الى الخبز وذلك ان صبره على الجوع اكثر من صبره على العطش
والذي يحتاج اليه من الماء اكثر مما يحتاج اليه من الخبز
لانه يحتاج اليه لشربه ووضوئه وغسله وغسل ثيابه وسقي
انعامه وزرعه فجعل الماء مبذولا لا يشترى ليسقط عن
الانسان المؤنة في طلبه وتكلفه وجعل الخبز متعذرا لا ينال
الا بالحيلة والحركة ليكون للانسان في ذلك شغل يكفه عما
يخرجه اليه الفراغ من الاشر والعبث الا ترى ان الصبي
يدفع الى المؤدب وهو طفل لم يكمل ذهنه للتعليم كل ذلك
ليشتغل عن اللعب والعبث اللذين ربما جنيا عليه وعلى
اهله المكروه العظيم وهكذا الانسان لو خلا من الشغل
لخرج من الاشر والعبث والبطر الى ما يعظم ضرره عليه وعلى
من قرب منه واعتبر ذلك بمن نشا في الجدة والرفاهية
والعيش والترفه والكفاية وما يخرجه ذلك اليه واعتبر لم

لا يتشابه الناس واحد بالاخر كما يتشابه الوحوش والطير وغير
ذلك فانك ترى السرب من الظباء والقطا تتشابه حتى لا
يفرق بين احد منها وبين الاخرى وترى الناس مختلفة
صورهم وخلقهم حتى لا يكاد اثنان منهم يجتمعان في
صفة واحدة والعلة في ذلك ان الناس محتاجون الى
ان يتعارفوا باعيانهم وحلاهم لما يجري بينهم من المعاملات
وليس يجري بين البهائم مثل ذلك فيحتاج الى معرفة كل واحد
منها بعينه وحليته الا ترى ان التشابه في الطير والوحش
لا يضرها شيئا وليس كذلك الانسان فانه ربما تشابه توامان
تشابها شديدا فتعظم المؤنة على الناس في معاملتهما حتى
يعطى احدهما بالاخر ويؤخذ احدهما بذنب الاخر وقد يحدث
مثل هذا في تشابه الاشياء فضلا عن تشابه الصور فمن لطف
بعباده بهذه الدقائق التي لا تكاد تخطر بالبال حتى وقف
بها على الصواب الا من وسعت رحمته كل شئ لو رايت تمثال
الانسان مصورا على حائط فقال لك قائل ان هذا ظهر ههنا
من تلقاء نفسه لم يصنعه صانع اكنت تقبل ذلك بل كنت
تستهزئ به فكيف تنكر هذا في تمثال مصور جماد ولا تنكر
في الانسان الحي الناطق لم صارت ابدان الحيوان وهي تغتذي
ابدا لا تنمي بل تنتهي الى غاية من النمو ثم تقف ولا تتجاوزها لولا

منعت الذهن والعقل لتذل للانسان فلا تمتنع عليه اذا
اكدها الكد الشديد وحملها الحمل الثقيل فان قال قايل انه
قد يكون للانسان عبيد من الانس يذلون ويذعنون
بالكد الشديد وهم مع ذلك غير عديمي العقل والذهن
فيقال في جواب ذلك ان هذا الصنف في الناس قليل
فاما اكثر الناس فلا يذعنون بما تذعن به الدواب من الحمل
والطحن وما اشبه ذلك ولا يغرون بما يحتاج اليه منه
ثم لو كان الناس يزاولون مثل هذه الاعمال بابدانهم
لشغلوا بذلك عن ساير الاعمال لانه كان يحتاج مكان
الجمل الواحد والبغل الواحد الى عدة اناسي وكان هذا
العمل يستفرغ الناس حتى لا يكون فيهم عنه فضل لشي
من الصناعات مع ما يلحقهم من التعب الفادح في ابدانهم
والضيق والكد في معاشهم فكر يا مفضل في هذه الاصناف
الثلثه من الحيوان وفي خلقها على ما هي عليه مما فيه صلاح
كل واحد منها فالانس لما قدر ان يكونوا ذوي ذهن وفطنة
وعلاج لمثل هذه الصناعات من البناء والنجارة والصياغة
والخياطة وغير ذلك خلقت لهم اكف كبار ذوات اصابع غلاظ
ليتمكنوا من القبض على الاشياء واوكدها هذه الصناعات

واكلات اللحم لما قدر ان يكون معايشها من الصيد خلق
لهم اكف لطاف مدمجة ذوات براثن ومخاليب تصلح
لاخذ الصيد ولا تصلح للصناعات واكلات النبات لما قدر
ان يكونوا لا ذات صنعة ولا ذات صيد خلقت لبعضها
اظلاف تقيها خشونة الارض اذا حاولت طلب الرعي ولبعضها
حوافر ململمة ذوات قعر كاخمص القدم تنطبق على الارض
لتتهيأ للركوب والحمولة تامل التدبير في خلق اكلات اللحم
من الحيوان حين جعلت ذوات اسنان حداد وبراثن
شداد واشداق وافواه واسعة فانه لما قدر ان يكون
طعمها اللحم خلقت خلقة تشاكل ذلك واعينت بسلاح
وادوات تصلح للصيد وكذلك سباع الطير ذوات مخالب
كانت قد اعطيت ما لا يحتاج اليه لانها لا تصيد ولا تاكل
اللحم ولو كانت السباع ذوات اظلاف كانت قد منعت ما
يحتاج اليه اعني السلاح الذي به تصيد وتتعيش فلا ترى
كيف اعطي كل واحد من الصنفين ما يشاكل صنفه وطبقته
بل ما فيه بقاؤه وصلاحه انظر الى ذوات الاربع كيف تراها
تتبع امهاتها مستقلة بانفسها لا تحتاج الى الحمل والتربية
كما تحتاج اولاد الانس فمن اجل انه ليس عند امهاتها ما عند
امهات البشر من الرفق والعلم بالتربية والقوة عليها بالاكف

والاصابع المهياه لذلك اعطيت النهوض والاستقلال
بانفسها وكذلك نرى كثيرًا من الطير كمثل الدجاج والدراج
والقبج تدرج وتلقط حين تنقاب عنها البيض فاما ما
كان منها ضعيفا لا نهوض فيه كمثل فراخ الحمام واليمام و
الحمر فقد جعل في الامهات فضل عطف عليها فصارت
تمج الطعام في افواهها بعد ما توعيه حواصلها فلا تزال
تغذوها حتى تستقل بانفسها ولذلك لم ترزق الحمام فراخًا
كثيرة مثل ما ترزق الدجاج لتقوى الام على تربية فراخها ولا
تفسد ولا تموت فكل اعطي بقسط من تدبير الحكيم اللطيف
الخبير انظر الى قوائم الحيوان كيف تاتي ازواجًا لتتهيا للمشي
ولو كانت افرادًا لم يصلح لذلك لان الماشي ينقل قوائمه و
يعتمد على بعض فذو القائمتين ينقل واحدة ويعتمد على واحدة
وذو الاربع ينقل اثنين ويعتمد على اثنين وذلك من خلاف
لان ذا الاربع لو كان ينقل قائمتين من احد جانبيه ويعتمد
على قائمتين من الجانب الاخر لما تثبت على الارض كما لا يثبت
السرير وما اشبهه فصار ينقل اليمنى من مقاديمه مع اليسرى
من ماخيره وينقل الاخريين ايضا من خلاف فيثبت
على الارض ولا تسقط اذا مشى اما ترى الحمار كيف يذل
للطحن والحمولة وهو يرى الفرس مودعًا منعمًا والبعير لا

بعض

يطيقه عدة رجال لو استعصى كيف كان ينقاد للصبي
والثور الشديد كيف كان يذعن لصاحبه حتى يضع النير
على عنقه ويحرث به والفرس الكريم يركب السيوف والاسنة
بالمواساة لفارسه والقطيع من الغنم يرعاه رجل واحد و
لو تفرقت الغنم فاخذ كل واحد منها في ناحية لم يلحقها
وكذلك اصناف المسخرة للانسان فلم كانت كذلك الا انها
عدمت العقل والروية فانها لو كانت تعقل وتروى
في الامور كانت خليقة ان تلتوي على الانسان في كثير
من ماربه حتى يمتنع الجمل على قائده والثور على صاحبه
وتتفرق الغنم عن راعيها واشباه هذا من الامور و
كذلك هذه السباع لو كانت ذوات عقل وروية فتوازرت على الناس كانت خليقة ان تجتاحهم فمن
كان يقوم للاسد والذئاب والنمورة والدببة لو تعاونت
وتظاهرت على الناس افلا ترى كيف حجر ذلك عليها و
صارت مكان ما كان يخاف من اقدامها ونكايتها تهاب
مساكن الناس وتحجم عنها ثم لا تظهر ولا تنتشر لطلب قوتها الا
بالليل فهو مع صولتها كالخائف للانس بل مقموعة ممنوعة
منهم ولولا ذلك لساورتهم في مساكنهم وضيقت عليهم
ثم جعل في الكلب من بين هذه السباع عطف على مالكه
ومحاماة عنه وحفاظ له فهو ينتقل على الحيطان والسطوح

جميع

منه مما وصفنا وخلق له مكان العنق المشفر ليتناول
به غذاءه فصار مع عدم العنق مستوفيا ما فيه بلوغ حاجته
انظر الآن كيف جعل حياء الانثى من الفيلة فى اسفل بطنها
فاذا هاجت للضراب ارتفع وبرز حتى يتمكن الفحل من
ضربها فاعتبر كيف جعل حياء الانثى من الفيلة على
خلاف ما عليه فى غيرها من الانعام ثم جعلت فيه هذه
الخلة ليتهيا للامر الذى فيه قوام النسل ودوامه فكر فى
خلق الزرافة واختلاف اعضائها وشبهها باعضاء
الاصناف من الحيوان فراسها راس فرس وعنقها عنق
جمل واظلافها اظلاف بقرة وجلدها جلد نمر وزعم ناس
من الجهال بالله عز وجل ان نتاجها من فحول شتى قالوا
وسبب ذلك ان اصنافا من حيوان البر اذا وردت الماء
تنزو على بعض السائمة وينتج مثل هذا الشخص الذى هو
كالملتقط من اصناف شتى وهذا جهل من قايله وقلة
معرفته بالبارى جل قدسه وليس كل صنف من الحيوان
يلقح كل صنف لا الفرس يلقح الجمل ولا الجمل يلقح البقر وانما يكون التلقيح من بعض
الحيوان فيما يشاكله ويقرب من خلقه كما يلقح الفرس
الحمارة فيخرج بينهما البغل ويلقح الذئب الضبع ويخرج من
بينهما السمع على انه ليس يكون فى الذى يخرج من بينهما

عضو من كل واحد منهما كما فى الزرافة عضو من الفرس
وعضو من الجمل واظلاف من البقرة بل يكون كالمتوسط
بينهما الممتزج منهما كالذى تراه فى البغل فانك ترى
راسه واذنيه وكفله وذنبه وحوافره وسطا بين هذه
الاعضاء من الفرس والحمار فهذا دليل على انها ليست الزرافة
من لقاح اصناف شتى من الحيوان كما زعم الجاهلون
بل هى خلق عجيب من خلق الله للدلالة على قدرته التى لا
يعجزها شىء وليعلم انه خالق اصناف الحيوان كلها يجمع
بين ما يشاء من اعضائها فى ايها شاء ويفرق ما شاء
منها فى ايها شاء ويزيد فى الخلقة ما شاء وينقص منها
ما شاء ~~وينقص منها ما شاء~~ دلالة على قدرته على الاشياء
وانه لا يعجزه شىء اراده جل وتعالى واما طول عنقها والمنفعة
لها فى ذلك فان منشاها ومرعاها فى غياطل ذوات اشجار
شاهقة ذاهبة طولا فى الهواء فهى تحتاج الى طول العنق
لتتناول بفيها اطراف تلك الاشجار فتتقوت من ثمارها
تامل ~~خلقة وشبهه~~ فى كثير من اعضائه اعنى الراس والوجه
والمنكبين والصدر وكذلك احشاؤه ايضا شبيهة
باحشاء الانسان وخص مع ذلك بالذهن والفطنة التى
بها يفهم عن سائسه ما يومى اليه ويحكى كثيرا مما يرى

الانسان بفعله حتى انه يقرب من خلق الانسان وشمايله
فى التدبير فى خلقه على ما هى عليه ان يكون عبرة للانسان
فى نفسه فيعلم انه من طينة البهايم وسنخها اذ كان يقرب
من خلقها هذا القرب وانه لولا فضيلة فضله الله بها فى الذهن
والعقل والنطق كان كبعض البهايم على ان فى جسم القرد
فصولا اخرى يفرق بينه وبين الانسان كالخطم والذنب
المسدل والشعر المجلل للجسم كله وهذا لم يكن مانعا
للقرد ان يلحق بالانسان لو اعطى مثل ذهن الانسان وعقله
ونطقه والفصل الفاصل بينه وبين الانسان بالصحة
هو النقص فى العقل والذهن والنطق انظر يا مفضل الى
لطف الله جل اسمه بالبهايم كيف كسيت اجسامهم
هذه الكسوة من الشعر والوبر والصوف ليقيها من البرد
وكثرة الافات والبست الاظلاف والحوافر والاخفاف
ليقيها من الحفا اذ كانت لا ايدى لها ولا اكف ولا اصابع
مهياة للغزل والنسج فكفوا بان جعل كسوتهم فى خلقهم
باقية عليهم ما بقوا لا يحتاجون الى تجديدها والاستبدال
بها فاما الانسان فانه ذو حيلة وكف مهياة للعمل فهو ينسج
ويغزل ويتخذ لنفسه الكسوة ويستبدل بها حالا بعد حال
وله فى ذلك صلاح من جهات من ذلك انه يشتغل بصنعة

فضله الله صح

كالخطم

وللبهايم

اللباس

اللباس عن العبث وما يخرجه اليه الكفاية ومنها انه يستريح
الى خلع كسوته اذا شاء ولبسها اذا شاء ومنها ان يتخذ لنفسه
من الكسوة ضروبا من الخفاف والنعال يقى بها قدميه
وفى ذلك معايش لمن يعمله من الناس ومكاسب يكون فيها معاشهم
ومنها اقواتهم واقوات عيالهم فصار الشعر والوبر والصوف
تقوم للبهايم مقام الكسوة والاظلاف والحوافر والاخفاف مقام
الحذا فكر يا مفضل فى خلقة عجيبة جعلت فى البهايم فانهم
يوارون انفسهم اذا ماتوا كما يوارى الناس موتاهم والا فاين
جيف هذه الوحوش والسباع وغيرها لا يرى منها شىء
وليست قليلة فتخفى لقلتها بل لو قال قايل انها اكثر من الناس
لصدق فاعتبر ذلك بما تراه فى الصحارى والجبال من اسراب
الظبا والمها والحمير والوعول والايايل وغير ذلك من الوحوش
واصناف السباع من الاسد والضباع والذياب والنمور
وغيرها وضروب الهوام والحشرات ودواب الارض وكذلك
اسراب الطير من الغربان والقطا والاوز والكراكى والحمام
وسباع الطير جميعا وكلها لا نرى منها اذا ماتت الا الواحد
بعد الواحد يصيده قانص او يفترسه سبع فاذا احسوا بالموت
كمنوا فى مواضع خفية فيموتون فيها ولولا ذلك لامتلات
الصحارى منها حتى تفسد رايحة الهوى وتحدث الامراض

لها جمال وروعة يلتذ بلبسها
وتبديلها وكذلك تتخذ بالرفق
ضروبا صح

لكي لا ينبت فيفسد عليهم فان اصابه ندى اخرجوه فنشروه
حتى يجف ثم لا يتخذ النمل الزبية الا في نشز من الارض كي
كي لا يفيض السيل فيغرقها فكل هذا منه بلا عقل ولا
روية بل خلقة خلق عليها لمصلحة لطفا من الله جل
وعز انظر الى هذا الذي يقال له الليث وتسميه العامة
اسد الذباب وما اعطي من الحيلة والرفق في معاشه فانك
تراه حين يحس بالذباب قد وقع منه قريبا تركه مليا حتى
كانه موات لا حراك به فاذا راى الذباب قد اطمان وغفل عنه
دب دبيبا دقيقا حتى يكون منه بحيث يناله بوثبته ثم
يثب عليه فياخذه فاذا اخذه اشتمل عليه بجسمه كله
مخافة ان ينجو منه فلا يزال قابضا عليه حتى يحس بانه
قد ضعف واسترخى ثم يقبل عليه فيفترسه ويحيى منه
فاما العنكبوت فانه ينسج ذلك النسج فيتخذه شركا ومصيدة
للذباب ثم يكمن في جوفه فاذا نشب فيه الذباب احال عليه
يلدغه ساعة بعد ساعة فيعيش بذلك منه فكذلك
يحكي صيد الكلاب والفهود وهكذا يحكي صيد الاشراك
والحبائل فانظر الى هذه الدويبة الضعيفة كيف جعل في
طبعها ما لا يبلغه الانسان الا بالحيلة واستعمال الآلات فيها فلا
تزدر بالشيء اذا كانت العبرة فيه واضحة كالذرة والنملة وما

طلبه

بذلك

تزدر

اشبه ذلك فان المعنى النفيس قد يمثل بالشيء الحقير فلا يضع
منه ذلك كما لا يضع من الدينار وهو من ذهب ان يوزن بمثقال
من حديد تامل يا مفضل جسم الطائر وخلقته فانه حين
قدر ان يكون طائرا في الجو خفف جسمه وادمج خلقه فاقتصر
به من القوائم الاربع على اثنتين ومن الاصابع الخمس على
اربع ومن منفذين للزبل والبول على واحد يجمعهما ثم خلق ذا
جؤجؤ محدد ليسهل عليه ان يخرق الهواء كيف ما اخذ
فيه كما جعل السفينة بهذه الهيئة لتشق الماء وتنفذ فيه
وجعل في جناحيه وذنبه ريشات طوال متان لينهض
بها للطيران وكسي كله الريش ليتداخله الهواء فيقله ولما
قدر ان يكون طعمه الحب واللحم يبلعه بلعا بلا مضغ نقص
من خلقه وخلق له منقار صلب جاس يتناول به طعمه فلا
ينسحج من لقط الحب ولا يتقصف من نهش اللحم ولما عدم
الاسنان وصار يزدرد الحب صحيحا واللحم غريضا اعين
بفضل حرارة في الجوف تطحن له الطعم طحنا يستغني به عن المضغ
واعتبر ذلك بان عجم العنب وغيره يخرج من اجواف الانس
صحيحا ويطحن في اجواف الطير لا يرى له اثر ثم جعل مما يبيض
بيضا ولا يلد ولادة لكيلا يثقل عن الطيران فانه لو كانت
الفراخ في جوفه تمكث حتى تستحكم لاثقلته وعاقته عن

القوائم

الانسان

النهوض والطيران فجعل كل شيء من خلقه مشاكلاً للامر
الذي قدر ان يكون عليه ثم الطاير السايح في هذا الجو يقعد
صار
على بيضه فيحضنه اسبوعاً وبعضها اسبوعين وبعضها ثلثة
اسابيع حتى يخرج الفرخ من البيضة ثم تقبل عليه فيزقه
الريح لتتسع حوصلته للغذاء ثم يربيه ويغذيه بما يعيش به فمن
كلفه ان يلقط الطعم ويستخرجه بعد ان يستقر في حوصلته
ويغذو به فراخه ولاى معنى يحتمل هذه المشقة وليس بذي
روية ولا تفكر ولا يأمل في فراخه ما يؤمل الانسان في
ولده من العز والرفد وبقاء الذكر فهذا هو فعل يشهد بانه
معطوف على فراخه لعلة لا يعرفها ولا يفكر فيها وهي دوام النسل
وبقاؤه لطفا من الله تعالى ذكره انظر الى الدجاجة كيف تهيج
لحضن البيض والتفريخ وليس لها بيض مجتمع ولا وكر موطى
بل تنبعث وتنتفخ وتقوقى وتمتنع من الطعم حتى يجمع لها
البيض فتحضنه وتفرخ فلم كان ذلك منها الا لاقامة النسل
لها
ومن اخذها باقامة النسل ولا روية ولا تفكر لولا انها مجبولة
وما فيه
على ذلك اعتبر بخلق البيضة فيما فيها من المح الاصفر الخاثر
لينشو
والماء الابيض الرقيق فبعضه لينتشر منه الفرخ وبعضه
ليغتذي به الى ان تنقاب عنه البيضة وما في ذلك من
لو لما
التدبير فانه كان نشو الفرخ في تلك القشرة المستحصفة التي

لا مساغ لشيء اليه لجعل معه في جوفها من الغذاء ما يكتفي
به الى وقت خروجه منها كمن يحبس في حبس حصين لا يوصل
الى من فيه فيجعل معه من القوت ما يكتفي به الى وقت خروجه
منه فكر في حوصلة الطاير وما قدر له فان مسلك الطعم
يا مفضل
الى القانصة ضيق لا ينفذ فيه الطعام الا قليلاً قليلاً
فلو كان الطاير لا يلقط حبة ثانية حتى يصل الاولى الى
القانصة لطال عليه ومتى كان يستوفي طعمه فانما
يختلسه اختلاسا لشدة الحذر فجعلت الحوصلة كالمخلاة
المعلقة امامه ليوعي فيها ما ادرك من الطعم بسرعة
ثم ينفذه الى القانصة على مهل وفي الحوصلة ايضا خلة
اخرى فان من الطاير ما يحتاج الى ان يزق فراخه فيكون
رده للطعم من قرب اسهل عليه قال المفضل فقلت
ان قوما من المعطلة يزعمون ان اختلاف الالوان و
الاشكال في الطير انما يكون من قبل امتزاج الاخلاط
واختلاف مقاديرها بالمزج والاهمال فقال يا مفضل هذا
الوشي الذي تراه في الطواويس والدراج والتدراج على
استواء ومقابلة كنحو ما يخط بالاقلام كيف ياتي به الامتزاج
المهمل على شكل واحد لا يختلف لو كان بالاهمال لعدم
ولو كان
الاستواء ولكان مختلفا تامل ريش الطير كيف هو فانك

من قرب فيدل ذلك على انها منتشره في كل موضع من الجو
فهذه الاصناف من الطير يلتمسها اذا خرجت فيتقوت بها
فانظر كيف وجه الرزق لهذه الطيور التي لا تخرج الا بالليل
من هذه الضروب المنتشرة في الجو واعرف مع ذلك المعنى
في خلق هذه الضروب التي عسى ان يظن ظان انها فضل
لا معنى له خلق الخفاش خلقة عجيبة بين خلقة الطير وذوات
الاربع اقرب وذلك انه ذو اذنين ناشزتين واسنان ووبر
وهو يلد ولادا ويرضع ويبول ويمشي اذا مشى على اربع و
كل هذا خلاف صفة الطير ثم هو ايضا مما يخرج بالليل و
يتقوت مما يسري في الجو من الفراش وما اشبهه وقد
قال قايلون انه لا طعم للخفاش وان غذاءه من النسيم
وحده وذلك يفسد ويبطل من وجهين احدهما خروج
ما يخرج منه من الثفل والبول فان هذا لا يكون من غير
طعم والاخر انه ذو اسنان ولو كان لا يطعم شيئا لم يكن
للاسنان معنى وليس في الخلقه شيء لا معنى له واما المآرب
فيه فمعروفة حتى ان زبله يدخل في بعض الاعمال ومن
اعظم الارب فيه خلقته العجيبه الداله على قدره الخالق
جل ثناؤه وتصرفها فيما شاء كيف شاء لضرب من المصلحة
فاما الطاير الصغير الذي يقال له ابو تمره فقد عشش

المتسم
بل هو الى دواب الاربع
فيه
المآرب
كان

في بعض الاوقات في بعض الشجر فنظر الى حية عظيمة قد اقبلت
نحو عشه فاغرة فاها لتبلعه فبينما هو يتقلب ويضطرب
في طلب حيلة منها اذا وجد حسكه فحملها فالقاها في فم الحيه
فلم تزل الحيه تلتوي وتتقلب حتى ماتت افرايت لو لم اخبرك
بذلك كان يخطر ببالك او ببال غيرك انه يكون من حسكه
مثل هذه المنفعة العظيمة او يكون من طاير صغير او كبير مثل
هذه الحيلة اعتبر بهذا وكثير من الاشيا يكون فيها منافع
لا تعرف الا بحادث يحدث به او خبر يسمع به انظر الى
النحل واحتشاده في صنعة العسل وتهيئته البيوت المسدسة
وما ترى في ذلك من دقايق الفطنة فانك اذا تاملت العمل
رايته عجيبا لطيفا واذا رايت المعمول وجدته عظيما
شريفا موقعه من الناس واذا رجعت الى الفاعل الفيته غبيا
جاهلا فضلا عما سوى ذلك ففي هذا اوضح الدلالة على
ان الصواب والحكمة في هذه الصنعة ليس للنحل بل هي
للذي طبعها عليها وسخرها فيها لمصلحة الناس انظر الى هذا
الجراد ما اضعفه وما اقواه فانك اذا تاملت خلقه رايته
كاضعف الاشيا وان دلفت عساكره نحو بلد من البلدان
لم يستطع احد ان يحميه منه الا ترى ان ملكا من ملوك
الارض لو جمع خيله ورجله ليحمي بلاده من الجراد لم يقدر

بنفسه

على ذلك افليس من الدلايل على قدرة الخالق ان يبعث
اضعف خلقه فلا يستطيع دفعه انظر اليه كيف ينساب

الى اقوى خلقه صح

على وجه الارض مثل السيل فيغشى السهل والجبل والبدو
والحضر حتى يستر نور الشمس بكثرته فلو كان هذا مما يصنع
بالايدى متى كان يجتمع منه هذه الكثرة وفي كم
من سنة كان يرتفع فاستدل بذلك على القدرة التى لا
يوودها شىء ولا يكبر عليها تامل خلق السمك ومشاكلته
للامر الذي قدر ان يكون عليه فانه خلق غير ذي قوايم

غيره صح

لانه لا يحتاج الى المشى اذ كان مسكنه الماء وخلق غير
ذى رية لانه لا يستطيع ان يتنفس وهو منغمس فى
اللجه وجعلت له مكان القوايم اجنحة شداد تضرب بها
فى جانبيه كما يضرب الملاح بالمجاديف من جانبى السفينه
وكسى جسمه قشورا متانا متداخلة كتداخل الدروع
والجواشن لتقيه من الافات فاعين بفضل حس فى الشم
لان بصره ضعيف والماء يحجبه فصار يشم الطعم
من البعد البعيد فينتجعه والا فكيف يعلم به وبموضعه
واعلم ان من فيه الى صماخيه منافذ فهو يعب الماء
بفيه ويرسله من صماخيه فيتروح الى ذلك كما يتروح
غيره من الحيوان الى تنسم هذا النسيم فكر الآن فى كثرة

نسله وما خص به من ذلك فانك ترى فى جوف السمكة الواحدة
من البيض ما لا يحصى كثرة والعلة فى ذلك ان يتسع
لما يغتذى به من اصناف الحيوان فان اكثرها ياكل
السمك حتى ان السباع ايضا فى حافات الآجام عاكفة على
الماء ايضا كى ترصد السمك ~~والطير ياكل السمك~~ فاذا مر بها
خطفته فلما كانت السباع تاكل السمك والطير ياكل السمك
والناس ياكلون السمك والسمك ياكل السمك كان من
التدبير فيه ان يكون على ما هو عليه من الكثرة فاذا اردت
ان تعرف سعة حكمة الخالق وقصر علم المخلوقين فانظر
الى ما فى البحار من ضروب السمك ودواب الماء والاصداف
والاصناف التى لا تحصى ولا تعرف منافعها الا الشىء بعد
الشىء يدركه الناس باسباب تحدث مثل القرمز فانه انما عرف
الناس صبغه بان كلبة تجول على شاطى البحر فوجدت شيئا

كانت صح

من الصنف المسمى الحلزون فاكلته فاختضب خطمها بدمه
فنظر الناس الى حسنه فاتخذوه صبغا واشباه هذا مما يقف
الناس عليه حالا بعد حال وزمانا بعد زمان قال
المفضل وحان وقت الزوال فقام مولاى ع الى الصلوة
وقال بكر الى غدا ان شاء الله فانصرفت وقد تضاعف سروري
بما عرفنيه مبتهجا بما منحنيه حامدا لله على ما اتانيه فبت

والنجوم في منازلها ولو كانت كلها متنقلة لم يكن لسيرها منازل تعرف ولا رسم يوقف عليه لانه انما يوقف بمسير المتنقلة منها بتنقلها في البروج الراتبة كما يستدل على سير السائر على الارض بالمنازل التي يجتاز عليها ولو كان تنقلها بحال واحدة لاختلط نظامها وبطلت المآرب فيها ولساغ لقائل ان يقول ان كينونتها على حال واحدة توجب عليها الاهمال من الجهة التي وصفنا ففي اختلاف سيرها وتصرفها وما في ذلك من المآرب والمصلحة ابين دليل على العمد والتدبير فيها فكر في هذه النجوم التي تظهر في بعض السنه وتحتجب في بعضها كمثل الثريا والجوزا والشعريين وسهيل فانها لو كانت باسرها تظهر في وقت واحد لم تكن لواحد منها على حياله دلالات تعرفها الناس ويهتدون بها لبعض امورهم كمعرفتهم الآن بما يكون من طلوع الثور والجوزا اذا طلعت واحتجابها اذا احتجبت فصار ظهور كل واحد واحتجابه في وقت غير وقت الآخر لينتفع الناس بما يدل عليه كل واحد منها على حدته وكما جعلت الثريا واشباهها تظهر حينا وتحتجب حينا لضرب من المصلحة كذلك جعلت بنات نعش ظاهرة لا تغيب لضرب الآخر

من المصلحة فانها بمنزلة الاعلام التي يهتدي بها الناس في البر والبحر للطرق المجهولة وذلك انها لا تغيب ولا تتوارى فهم ينظرون اليها متى ارادوا ان يهتدوا بها الى حيث شاء واوصار الامران جميعا على اختلافهما موجهين نحو الارب والمصلحة وفيها مآرب اخرى علامات ودلالات على اوقات كثيرة من الاعمال كالزراعة والغرس والسفر في البر والبحر واشياء مما يحدث في الازمنة من الامطار والرياح والحر والبرد وبها يهتدي السائرون في ظلمة الليل لقطع القفار الموحشة واللجج الهائلة مع ما في ترددها في كبد السماء مقبلة ومدبرة ومشرقة ومغربة من العبر فانها تسير اسرع السير واحثه ارايت لو كانت الشمس والقمر والنجوم بالقرب منا حتى يتبين لنا سرعة سيرها بكنه ما هي عليه الم يكن سيخطف الابصار بوهجها وشعاعها كالذي يحدث احيانا من البروق اذا توالت واضطرمت في الجو وكذلك ايضا لو ان اناسا كانوا في قبة مكللة بمصابيح تدور حولهم دورا حثيثا لحارت ابصارهم حتى يخروا لوجوههم فانظر كيف قدر ان يكون مسيرها في البعد البعيد لكيلا تضر في الابصار وتنكأ فيها وباسرع السرعة لكيلا تتخلف

تخلف عن مقدار الحاجة في مسيرها وجعل فيها لجزء
يسير من الضوء ليتدد سد الاضواء اذا لم يكن شيئا
من الضوء ثم يمكن فيه الحركة اذا احدثت ضرورة
كما قد يحدث الحادث على المرء فيحتاج الى التجا في جوف
الليل فان لم يكن شيء من الضوء يهتدي به لم يستطع
ان يبرح مكانه فتامل اللطف والحكمة في هذا
التقدير حين جعل للظلمة دولة ومدة الحاجة اليها
وجعل خلالها شيء من الضوء للمارب التي
وصفنا فكر في هذا الفلك بشمسه وقمره ونجومه
وبروجه تدور على العالم هذا الدوران الدائم بهذا
التقدير والوزن لما في اختلاف الليل والنهار وهذه
الازمان الاربعة من التنبيه على الارض وما عليها
من اصناف الحيوان والنبات من ضروب المصلحة
كالذي بينت وشخصت لك آنفا وهل يخفى على لب
ان هذا تقدير مقدر وصواب وحكمة من مقدر حكيم
فان قال قائل ان هذا شيء اتفق ان يكون هكذا فما منعه
ان يكون مثل هذا في دولاب تراه يدور ويسقي
حديقة فيها شجر ونبات فترى كل شيء من آلته
مقدرا بعضه يلقى بعضا على ما فيه صلاح تلك

تلك الحديقة وما فيها وبم كان يثبت هذا القول
لو قاله وما ترى الناس كانوا قائلين له لو سمعوه منه
افينكر ان يقول في دولاب تراه يدور ويسقي مصنوع خشب
بحيلة قصيرة لمصلحة قطعة من الارض انه كان بلا
صانع ومقدر ويقدر ان يقول في هذا الدولاب
الاعظم المخلوق بحكمة تقصر عنها اذهان البشر لصلاح
جميع الارض وما عليها انه شيء اتفق ان يكون بلا صنعة
ولا تقدير لو اعتل هذا الفلك كما تعتل الآلات التي
تتخذ للصناعات وغيرها اي شيء كان عند الناس
من الحيلة في اصلاحه فكر يا مفضل في مقادير النهار
والليل كيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق فصار
منتهى كل واحد منهما اذا امتد الى خمس عشرة ساعة
لا يجاوز ذلك افرايت لو كان النهار يكون مقداره
مائة ساعة او مائتي ساعة الم يكن في ذلك بوار
كل ما في الارض من حيوان ونبات اما الحيوان
فكان لا يهدأ ولا يقر طول هذه المدة ولا الانسان
يفتر عن العمل والحركة وكان ذلك سيهلكها اجمع
ويؤديها الى التلف واما النبات فكان يطول عليه
حر النهار ووهج الشمس حتى يجف ويحترق وكذلك

عن الهواء بحلة اخرى فان الصوت اثر يوثره اصطكاك
الاجسام في الهواء يوديه الى المسامع والناس يتكلمون في
حوايجهم ومعاملاتهم طول نهارهم وبعض ليلهم فلو كان
اثر هذا الكلام يبقى في الهواء كما يبقى الكتاب في القراطيس
لامتلاء العالم منه وكان يكربهم ويفدحهم فكانوا يحتاجون
في تجديده والاستبدال به الى اكثر مما يحتاج اليه في تجديد
القراطيس لان ما يلقى من الكلام اكثر مما يكتب فجعل الخلاق
الحكيم جل قدسه هذا الهواء قرطاسا خفيا يحمل الكلام
ريث ما يبلغ العالم حاجتهم ثم يمحى فيعود جديدا نقيا
ويحمل ما حمل ابدا بلا انقطاع وحسبك بهذا النسيم
المسمى هواء عبرة وما فيه من المصالح فانه حياة هذه
الابدان والممسك لها من داخل بما تستنشق منه ومن
خارج تباشر من روحه وفيه تطرد هذه الاصوات فيودي
بها من البعد البعيد وهو الحامل لهذه الارايح ينقلها
من موضع الى موضع الا ترى كيف تاتيك الريح فكذلك
الصوت وهو القابل لهذا الحر والبرد اللذين يعتقبان
على العالم لصلاحه ومنه هذه الريح الهابة فالريح
تروح على الاجسام وتزجي السحاب من موضع الى موضع
ليعم نفعه حتى يستكثف فيمطر وبعضه حتى يستخف

والهواء وم — بما — الرايح حين تهب — عن الله

فيتفشى وتلقح الشجر ويسير السفن وترخي الاطعمة ويبرد
الماء وتشب النار وتجفف الاشياء الندية وبالجملة
انها تحيي كل ما في الارض فلولا الريح لذوى النبات
فات الحيوان وحمت الاشياء وفسدت فكر يا مفضل
فيما خلق الله عز وجل عليه هذه الجواهر الاربعة ليتسع
ما يحتاج اليه منها فمن ذلك سعة هذه الارض و
امتدادها فلولا ذلك كيف كانت تتسع لمساكن الناس
ومزارعهم ومراعيهم ومنابت اخشابهم واحطابهم والعقاقير
العظيمة والمعادن الجسيمة غناها ولعل من ينكر هذه
الفلوات الخاوية والقفار الموحشة فيقول ما المنفعة
فيها فهي ماوى هذه الوحوش ومحالها ومرعاها ثم فيها
بعد متنفس ومضطرب للناس اذا احتاجوا الى الاستبدال
باوطانهم فكم بيداء وكم فدفد حالت قصورا و
جنانا بانتقال الناس اليها وحلولهم فيها ولولا سعة
الارض وفسحتها لكان الناس كمن هو في حصار ضيق
لا يجد مندوحة عن وطنه اذا احزنه امر يضطره الى
الانتقال عنه ثم فكر في خلق هذه الارض على ما
هي عليه حين خلقت راتبة راكنة فيكون موطنا مستقرا
للاشياء فيتمكن الناس من السعي عليها في ماربهم والجلوس

فيتفشى

عليها لراحتهم والنوم لهدؤهم والاتقان لاعمالهم فانها
لو كانت رجراجة متكفئة لم يكونوا يستطيعون ان
يتقنوا البناء والتجارة والصناعة وما اشبه ذلك بل
كانوا لا يتهنئون بالعيش والارض ترتج من تحتهم واعتبر
ذلك بما يصيب الناس في الزلازل على قلة مكثها حتى (حين)
حتى يصيروا الى ترك منازلهم والهرب عنها فان
قال قائل فلم صارت هذه الارض تزلزل قيل له ان
الزلزلة وما اشبهها موعظة وترهيب يرهب بها
الناس ويرتدعوا عن المعاصي وكذلك ما ينزل بهم من (ليرعووا)
البلاء في ابدانهم واموالهم يجري في التدبير على ما فيه
صلاحهم واستقامتهم ويدخر لهم ان صلحوا من الثواب
والعوض في الاخرة ما لا يعدله شيء من امور الدنيا وربما
عجل ذلك في الدنيا اذا كان ذلك صلاحا للعامة والخاصة
ثم ان الارض في طباعها الذي طبعها الله تعالى باردة (عليه)
يابسة وكذلك الحجارة وانما الفرق بينها وبين الحجارة
فضل يبس في الحجارة افرايت لو ان اليبس افرط على الارض
قليلا حتى يكون حجرا صلدا اكانت تنبت هذا النبات
الذي به حيوة الحيوان وكان يمكن بها حرث او بناء
افلا ترى كيف تنصب من يبس الحجارة وجعلت على

ما هي عليه من اللين والرخاوة ولتتهيأ للاعتماد ومن تدبير
الحكيم جل وعلا في خلقة الارض ان مهب الشمال
ارفع من مهب الجنوب فلم يجعل الله عز وجل كذلك الا
لينحدر الماء على وجه الارض فيسقيها ويرويها ثم يفيض
آخر ذلك الى البحر فكانما يرفع احد جانبي السطح ويخفض
الاخر لينحدر الماء عنه ولا يقوم عليه كذلك جعل مهب (لينحدر)
الشمال ارفع من مهب الجنوب لهذه العلة بعينها ولولا
ذلك لبقي الماء متحيرا على وجه الارض وكان يمنع الناس
من اعمالها ويقطع الطرق والمسالك ثم الماء لولا كثرته
وتدفقه في العيون والاودية والانهار لضاق عما يحتاج
الناس اليه لشربهم وشرب انعامهم ومواشيهم وسقي زروعهم
واشجارهم واصناف غلاتهم وشرب ما يرده من الوحش
والطير والسباع وتتقلب فيه الحيتان ودواب الماء و
وفيه منافع اخر انت بها عارف وعن عظم موقعها غافل (غيره)
فانه سوى الامر الجليل المعروف من غنائه في احياء جميع
ما على الارض من الحيوان والنبات يمزج الاشربة فتلين و
تطيب لشاربها وبه تنظف الابدان والامتعة من الدرن
الذي يغشاها وبه يبل التراب فيصلح للاعتمال وبه يكف
عادية النار اذا اضطرمت واشرف الناس على المكروه
وبه يسيغ الغصان ما غص به فيحيو به من الموت

فاكثر من ان يحصى واظهر من ان يخفى فكر يا مفضل
في الصحو والمطر كيف يتعقبان على هذا العالم لما فيه
صلاحه ولو دام واحد منهما عليه كان في ذلك فساده
الا ترى ان الامطار اذا توالت عفنت البقول والخضر و
استرخت ابدان الحيوان وحصر الهواء فاحدث ضروبا
من الامراض وفسدت الطرق والمسالك وان الصحو اذا
دام جفت الارض واحترق النبات وغيض ماء العيون
والاوديه فاضر ذلك بالناس وغلب اليبس على الهواء
واحدث ضروبا اخرى من الامراض فاذا تعاقبا على
العالم هذا التعاقب اعتدل الهواء ودفع كل واحد
منهما عادية الاخر فصلحت الاشيا واستقامت فان
قال قائل ولم لا يكون في شيء من ذلك مضرة البتة قيل
ليمض ذلك الانسان ويولمه بعض الالم فيرعوي عن
المعاصي فكما ان الانسان اذا سقم بدنه احتاج الى
الادويه المرة البشعه ليقوم طباعه ويصلح ما فسد
منه كذلك اذا طغى واشر احتاج الى ما يعضه ويولمه
ليرعوي ويقصر عن مساويه ويثبته على ما فيه حظه
ورشده ولو ان ملكا من الملوك قسم في اهل مملكته
قناطير من ذهب وفضة الم يكن سيعظم عندهم ويذهب

له الصوت فاين هذا من مطر رواء تعمر بها البلاد ويزيد في الغلات اكثر من
قناطير الذهب والفضة في اقاليم الارض كلها افلا ترى المطرة الواحدة
ما اكبر قدرها واعظم النعمة على الناس فيها وهم عنها ساهون وربما عاقت
عن احدهم حاجة لا قدر لها فيذمر ويسخط ايثارا للخسيس قدره على
العظيم نفعه جهلا بمحمود العاقبة وقلة معرفة لعظيم الغناء والمنفعة فيها تامل
نزوله على الارض والتدبير في ذلك فانه جعل ينحدر عليها من علو ليتفشى
ما غلظ وارتفع منها فيرويه ولو كان انما ياتيها من بعض نواحيها لما علا
المواضع المشرفة منها ويقل ما يزرع في الارض الا ترى ان الذي يزرع سيحا
اقل من ذلك فالامطار هي التي تطبق الارض وربما تزرع هذه البراري الواسعة
وسفوح الجبال وذراها فتغل الغلة الكثيرة وبها يسقط عن الناس في كثير من
البلدان مونة سياق الماء من موضع الى موضع وما في ذلك يجري بينهم
من التشاجر والتظالم حتى يستاثر بالماء ذو العز والقوة ويحرمه الضعفاء ثم
انه حين قدر ان ينحدر على الارض انحدارا جعل ذلك قطرا شبيها بالرش ليغوص
في قعر الارض فيرويها ولو كان يسكبه انسكابا كان ينزل على وجه الارض
فلا يغوص فيها ثم كان يحطم الزرع القائمة اذا اندفق عليها فصار ينزل نزولا رقيقا
فينبت الحب المزروع ويحيي الارض والزرع القائم ايضا مصالح اخرى فانه يلين
الابدان ويجلو كدر الهواء فيرتفع الوباء الحادث من ذلك ويغسل ما يسقط
على الشجر والزرع من الداء المسمى باليرقان الى اشباه هذا من المنافع فان قال
قائل اوليس قد يكون منه في بعض السنين الضرر العظيم الكثير لشدة ما يقع منه
او برد يكون فيه تحطم الغلات وبخوره يحدثها في الهواء فيولد كثيرا من

وفي نزوله ايضا

الامراض في الابدان والافات في الغلات قيل بلى قد يكون ذلك الفرط لمنفعة
من صلاح الانسان وكفه عن ركوب المعاصي والتمادي فيها فيكون المنفعة فيما
يصلح له من دينه اربح مما عسى ان يرزى في ماله انظر يا مفضل الى هذه الجبال
المركومة من الطين والحجارة التي قد يحسبها الغافلون فضلا لا حاجة اليها
والمنافع فيها كثيرة فمن ذلك ان يسقط عليها الثلوج فيبقى في قلالها لمن
يحتاج اليه ويذوب ما ذاب منه فتجري منه العيون الغزيرة التي تجتمع منها الانهار
العظام وينبت فيها ضروب من النبات والعقاقير التي لا ينبت مثلها في السهل
ويكون فيها كهوف ومقايل للوحوش من السباع العادية ويتخذ منها الحصون
والقلاع المنيعة للتحرز من الاعداء وينحت منها الحجارة للبناء والارحاء ويوجد
فيها معادن لضروب من الجواهر وفيها خلال اخرى لا يعرفها الا المقدر لها في
سابق علمه فكر يا مفضل في هذه المعادن وما يخرج منها من الجواهر المختلفة
مثل الجص والكلس والجبسين والزرنيخ والمرتك والتوتيا والزيبق والنحاس
والرصاص والفضة والذهب والزبرجد والياقوت والزمرد وضروب الحجارة
وكذلك ما يخرج منها من القار والموميا والكبريت والنفط وغير ذلك مما
يستعمله الناس في مآربهم فهل يخفى على ذي عقل ان هذه كلها ذخائر ذخرت
للانسان في هذه الارض ليستخرجها فيستعملها عند الحاجة اليها ثم قصرت حيلة
الناس عما حاولوا من صنعتها على حرصهم واجتهادهم في ذلك فانهم لو ظفروا
بما حاولوا من هذا العلم كان لا محالة سيظهر ويستفيض في العالم حتى تكثر
الفضة والذهب ويسقطا عند الناس فلا يكون لهما قيمة ويبطل الانتفاع بهما
في الشرى والبيع والمعاملات ولا كان يجبى السلطان الاموال ولا يدخرهما
احد للاعقاب وقد اعطي الناس مع هذا صنعة الشبه من النحاس والزجاج

الكلس ما يكثر الفارسي ق
الجبس الجص ق
المرتك كمقعد مرداسنك ق

من الرمل

من الرمل والفضة من الرصاص والذهب من الفضة واشباه ذلك مما لا مضرة فيه
فانظر كيف اعطوا ارادتهم فيما لا ضرر فيه ومنعوا ذلك فيما كان ضارا لهم
لو نالوه ومن اوغل في المعادن انتهى الى واد عظيم يجري منصلتا بماء غزير لا يدرك
غوره ولا حيلة في عبوره ومن وراءه امثال الجبال من الفضة تفكر الان في هذا
من تدبير الخالق الحكيم فانه اراد جل ثناؤه ان يري العباد مقدرته وسعة خزائنه
ليعلموا انه لو شاء ان يمنحهم كالجبال من الفضة لفعل لكن لا صلاح لهم في ذلك
لانه لو كان فيكون كما ذكرنا سقوط هذا الجوهر عند الناس وقلة انتفاعهم به واعتبر
ذلك فانه قد يظهر الشيء الطريف مما يحدثه الناس من الاواني والامتعة فما دام عزيزا
قليلا فهو نفيس جليل اخذ الثمن فاذا فشى وكثر في ايدي الناس سقط عندهم
وخست قيمته ونفاسة الاشياء من عزتها فكر يا مفضل في هذا النبات
وما فيه من ضروب المآرب فالثمار للغذاء والاتبان للعلف والحطب للوقود
والخشب لكل شيء من انواع النجارة وغيرها واللحاء والورق والاصول والعروق
والصموغ لضروب من المنافع أرأيت لو كنا نجد الثمار التي نغتذي بها مجموعة على وجه
الارض ولم تكن تنبت على هذه الاغصان الحاملة لها كم كان يدخل علينا من الخلل
في معاشنا وان كان الغذاء موجودا فان المنافع بالخشب والحطب والاتبان وسائر
ما عددناه كثيرة عظيم قدرها جليل موقعها هذا مع ما في النبات من التلذذ بحسن
منظره ونضارته التي لا يعدلها شيء من مناظر العالم وملاهيه فكر يا مفضل في
هذا الريع الذي جعل في الزرع فصارت الحبة الواحدة تخلف مائة حبة واكثر واقل
وكان يجوز ان تكون الحبة تاتي بمثلها فلم صارت تريع هذا الريع الا ليكون في
الغلة متسع لما يرد في الارض من البذر وما يتقوت الزراع الى ادراك زرعهم المستقبل
الا ترى ان الملك لو اراد عمارة بلد من البلدان كان السبيل في ذلك ان يعطي

مضرة

فيهام

المنافع

دهنه فيستعمل في ضروب من المصالح وقد تبين لك موضع الارب في العجم والنوى
فكر الان في هذا الذي تجده فوق النواة من الرطبة وفوق العجم من العنبة فما العلة فيه
ولماذا يخرج في هذه الهيئة وقد كان يمكن ان يكون مكان ذلك ما ليس فيه ماكل كمثل
ما يكون من السدر والدلب وما اشبه ذلك فلم صار يخرج فوقه هذه المطاعم اللذيذة
الا ليستمتع بها الانسان فكر في ضروب من التدبير في الشجر فانك تراه يموت في كل
سنة موتة فتحتبس الحرارة الغريزية في عوده ويتولد فيه مواد الثمار ثم يحيى فينتشر
فيأتيك بهذه الفواكه نوعا بعد نوع كما تقدم اليك انواع الاطعمة التي تعالج بالايدي
واحدا بعد واحد فترى الاغصان في الشجر تتلقاك بثمارها حتى كأنها تناولكها
عن يد وترى الرياحين تتلقاك في افنانها كأنها تحييك بانفسها فلمن هيئ هذا التقدير
الا لمقدر حكيم وما العلة الا تفكه الانسان بهذه الثمار والانوار والعجب من اناس
جعلوا مكان الشكر على النعمة جحود المنعم بها اعتبر بخلق الرمانة وما ترى فيها من اثر العمد
والتدبير فانك ترى فيها كامثال التلال من شحم مركوم في نواحيها وحبا مرصوفا
رصفا كنحو ما ينضد بالايدي وترى الحب مقسوما اقساما وكل قسم منها ملفوفا بلفائف
من حجب منسوجة اعجب النسج والطفه وقشره يضم ذلك كله فمن التدبير في هذه الصنعة
انه لم يكن يجوز ان يكون حشو الرمانة من الحب وحده وذلك ان الحب لا يمد بعضه بعضا
فجعل ذلك الشحم خلال الحب ليمده بالغذاء الا ترى ان اصول الحب مركوزة في ذلك
الشحم ثم لف بتلك اللفائف لتضمه وتمسكه فلا يضطرب وغشي فوق ذلك بالقشرة
المستحصفة لتصونه وتحصنه من الآفات فهذا قليل من كثير من وصف الرمانة وفيه
اكثر من هذا لمن اراد الاطناب والتذرع في الكلام ولكن فيما ذكرت لك كفاية
في الدلالة والاعتبار فكر يا مفضل في حمل اليقطين الضعيف مثل هذه الثمار الثقيلة
من الدباء والقثاء والبطيخ وما في ذلك من التدبير والحكمة فانه حين قدر ان يحمل مثل

~~هذه الثمار الثقيلة من الدباء والقثاء والبطيخ وما في ذلك من التدبير والحكمة~~
فانه حين قدر ان يحمل مثل هذه الثمار جعل نباته منبسطا على الارض ولو كان ينتصب
قائما كما ينتصب الزرع والشجر لما استطاع ان يحمل مثل هذه الثمار الثقيلة و
لتقصف قبل ادراكها وانتهائها الى غاياتها فانظر كيف صار يمتد على وجه الارض
ليلقي عليها ثمارها فتحملها عنه فترى الاصل من القرع والبطيخ مفترشا للارض
وثماره مبثوثة عليها وحواليه كأنه هرة ممتدة وقد اكتنفها اجراؤها لترضعها
وانظر كيف صارت الاصناف توافي في اوقات المشاكلة لها من حمارة الصيف ووقدة
الحر فتتلقاها النفوس بانشراح وتشوق اليها ولو كانت توافي في الشتاء لوافقت
من الناس كراهة لها واقشعرارا مع ما يكون فيها من المضرة للابدان الا ترى ربما ادرك
شيء من الخيار في الشتاء فيمتنع الناس من اكله الا الشره الذي لا يمتنع من اكل ما
يضره ويستوخم مغبته فكر يا مفضل في النخل فانه لما صار فيه اناث تحتاج الى التلقيح
جعلت فيه ذكورة للقاح من غير غراس فصار الذكر من النخل بمنزلة الذكر من
الحيوان الذي يلقح الاناث لتحمل وهو لا يحمل تأمل خلقة الجذع كيف هو فانك
تراه كالمنسوج نسجا من غير خيوط ممدودة كالسدى واخرى معه معترضة كاللحمة
كنحو ما ينسج بالايدي وذلك ليشتد ويصلب ولا ينقصف من حمل القنوان
الثقيلة وهز الرياح العواصف اذا صار نخلة وليتهيأ للسقوف والجسور وغير
ذلك مما يتخذ منه اذا صار جذعا وكذلك ترى الخشب مثل النسج فانك ترى بعضه
مداخلا بعضا طولا وعرضا كتداخل اجزاء اللحم وفيه مع ذلك متانة ليصلح لما يتخذ منه
من الآلات فانه لو كان مستحصفا كالحجارة لم يمكن ان يستعمل في السقوف وغير ذلك
مما يستعمل فيه الخشبة كالابواب والاسرة والتوابيت وما اشبه ذلك ومن جسيم
المصالح في الخشب انه يطفو على الماء وكل الناس يعرف هذا منه وليس كلهم يعرف

جل الامر فيه لولا هذه الحيلة كيف كانت هذه السفن والاطراف تحمل امثال الجبال من
الحمولة واني كان ينال الناس هذا الرفق وخفة المؤنة في حمل التجارات من بلد الى بلد كانت
تعظم المؤنة عليهم في حملها حتى يلقى كثير مما يحتاج اليه في بعض البلدان مفقودا
اصلا او عسر الوجود. فكر في هذه العقاقير وما خص بها كل واحد منها من العمل في
بعض الادواء وهذا يغوص في المفاصل فيستخرج الفضول الغليظة مثل الشيطرج
وهذا ينزف المرة السوداء مثل الافتيمون وهذا ينفي الرياح مثل السكبينج وهذا يحلل
الاورام واشباه هذا من افعالها فمن جعل هذه القوى فيها الا من خلقها للمنفعة ومن
فطن الناس لها الا من جعل هذا فيها ومتى كان يوقف على هذا منها بالعرض والاتفاق
كما قال قائلون وهب الانسان فطن لهذه الاشياء بذهنه ولطيف رويته وتجاربه
فالبهايم كيف فطنت لها حتى بعض السباع يتداوى من جراحه ان اصابته ببعض
العقاقير فيبرا وبعض الطير يحتقن من الحصر يصيبه بماء البحر فيسلم واشباه هذا
كثير ولعلك تشكك في هذا النبات النابت في الصحاري والبراري حيث لا انس
ولا انيس فتظن انه فضل لا حاجة اليه وليس كذلك بل هو طعم لهذه الوحوش وحبه
علف للطير وعوده وافنانه حطب فيستعمله الناس وفيه بعد اشياء تعالج به الابدان
واخرى تدبغ به الجلود واخرى تصبغ به الامتعة واشباه هذا من المصالح الست
تعلم من اخس النبات واحقره هذا البردي وما اشبهها ففيها مع هذا من ضروب
المنافع فقد يتخذ من البردي القراطيس التي يحتاج اليها الملوك والسوقة والحصر
التي يستعملها كل صنف من الناس ويعمل منه الغلف التي يوقى بها الاواني ويجعل حشوا
بين الظروف في الاسفاط لكيلا تعيب وتنكسر واشباه هذا من المنافع فاعتبر
بما ترى من ضروب المآرب في صغير الخلق وكبيره وبما له قيمة وما لا قيمة له واخس من هذا
واحقره الزبل والعذرة التي اجتمعت فيها الخساسة والنجاسة معا وموقعها من الزرع

صاره

انه

والبقول والخضر اجمع الموقع الذي لا يعدله شيء حتى ان كل شيء من الخضر لا يصلح ولا
يزكو الا بالزبل والسماد الذي يستقذره الناس ويكرهون الدنو منه واعلم انه ليس
منزلة الشيء على حسب قيمته بل هما قيمتان مختلفتان بسوقين وربما كان الخسيس
في سوق المكتسب نفيسا في سوق العلم فلا تستصغر العبرة في الشيء لصغر
قيمته فلو فطنوا طالبو الكيميا لما في العذرة لاشتروها بانفس الاثمان وغالوا بها
قال المفضل وحان وقت الزوال فقام مولاي الى الصلوة وقال بكر الي غدا
ان شاء الله فانصرفت وقد تضاعف سروري بما عرفنيه مبتهجا بما اتانيه حامدا لله
على ما منحنيه فبت ليلتي مسرورا المجلس الرابع قال المفضل فلما كان اليوم الرابع بكرت
الى مولاي فاستوذن لي فامرني بالجلوس فجلست فقال منا التحميد والتسبيح والتعظيم
والتقديس للاسم الاقدس والنور الاعظم العلي العلام ذي الجلال والاكرام
ومنشي الانام ومفني العوالم والدهور وصاحب السر المستور والغيب المحظور والاسم
المخزون والعلم المكنون وصلواته وبركاته على مبلغ وحيه ومودي رسالاته الذي
ابتعثه بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ليهلك من هلك عن بينة
ويحيى من حي عن بينة فعليه وعلى اله من بارئه الصلوات الطيبات والتحيات الزاكيات
الناميات وعليه وعليهم السلم والرحمة والبركات في الماضين والغابرين ابد الابدين
ودهر الداهرين وهم اهله ومستحقه قد شرحت لك يا مفضل من الادلة على الخلق
والشواهد على صواب التدبير والعمد في الانسان والحيوان والنبات والشجر وغير ذلك
ما فيه عبرة لمن اعتبر وانا اشرح لك الان الافات الحادثة في بعض الازمان التي اتخذها اناس
من الجهال ذريعة الى جحود الخلق والخالق والعمد والتدبير وما انكرت المعطلة والمنانية
من المكاره والمصائب وما انكروه من الموت والفناء وما قاله اصحاب الطبايع ومن زعم ان
كون الاشياء بالعرض والاتفاق ليتسع ذلك القول بالرد عليهم قاتلهم الله انى يوفكون

الرابع

فجلست

الى

كانت تنال الصالح والطالح جميعا فان الله جعل ذلك صلاحا للصنفين كليهما
اما الصالحون فان الذي يصيبهم من هذا يذكرهم نعم ربهم عندهم في سالف ايامهم
فيحدوهم ذلك على الشكر والصبر فاما الطالحون فان مثل هذا اذا نالهم كسر شرتهم
وردعهم عن المعاصي والفواحش وكذلك يجعل لمن سلم منهم من الصنفين صلاحا
في ذلك اما الابرار فانهم يغتبطون بما هم عليه من البر والصلاح ويزدادون فيه
رغبة وبصيرة واما الفجار فانهم يعرفون رافة ربهم وتطوله عليهم بالسلامة من
غير استحقاق فيحضهم ذلك على الرافة بالناس والصفح عمن اساء اليهم ولعل قائلا
يقول ان هذه الافات التي تصيب الناس في اموالهم فما قولك فيما يبتلون به
في ابدانهم فيكون فيه تلفهم كمثل الحرق والغرق والسيل والخسف فيقال له
ان الله جعل في هذا ايضا صلاحا للصنفين جميعا اما الابرار فلما لهم في مفارقة
هذه الدنيا من الراحة من تكاليفها والنجاة من مكارهها واما الفجار فلما لهم في ذلك
من تمحيص اوزارهم وحبسهم عن الازدياد منها وجملة القول ان الخالق تعالى
ذكره بحكمته وقدرته قد يصرف هذه الامور كلها الى الخيرة والمنفعة فكما انه
اذا قطعت الريح شجرة او قطعت نخلة اخذها الصانع الرفيق واستعملها في ضروب
من المنافع فكذلك يفعل المدبر الحكيم في الافات التي تنزل بالناس في ابدانهم
واموالهم فيصيرها جميعا الى الخيرة والمنفعة فان قال ولم لا يحدث على الناس
قيل له لكيلا يركنوا الى المعاصي من طول السلامة فيبالغ الفاجر في ركوب المعاصي
ويفتر الصالح عن الاجتهاد في البر فان هذين الامرين جميعا يغلبان على الناس
في حال الخفض والدعة وهذه الحوادث التي تحدث عليهم تردعهم وتنبههم على
ما فيه رشدهم فلو اخلوا منها لغلوا في الطغيان والمعصية كما غلا الناس في
اول الزمان حتى وجب عليهم البوار بالطوفان وتطهير الارض منهم ومما ينتقده

في ذ

الدقيق

حاله

الجا

الجاحدون للعمد والتقدير الموت والفناء فانهم يذهبون الى انه ينبغي ان يكون
الناس مخلدين في هذه الدنيا الى غايته فينظر ما محصوله افرايت لو كان كل من
دخل العالم ويدخله يبقون ولا يموت احد منهم الم تكن الارض تضيق بهم حتى
تعوزهم المساكن والمزارع والمعاش فانهم والموت يفنيهم اولا فاولا يتنافسون
في المساكن والمزارع حتى ينشب بينهم في ذلك الحروب وتسفك فيهم الدماء فكيف
كانت تكون حالهم لو كانوا يولدون ولا يموتون وكان يغلب عليهم الحرص والشره
وقساوة القلوب فلو وثقوا بانهم لا يموتون لما قنع الواحد منهم بشي يناله ولا افرج
لاحد عن شي يساله ولا سلا عن شي مما يحدث عليه ثم كانوا يملون الحيوة وكل شي
من امور الدنيا كما قد يمل الحيوة من طال عمره حتى يتمنى الموت والراحة من الدنيا فان
قالوا انه كان ينبغي ان يرفع عنهم المكاره والاوصاب حتى لا يتمنوا الموت ولا يشتاقوا
اليه فقد وصفنا ما كان يخرجهم اليه من العتو والاشر الحامل لهم على ما فيه فساد الدين
والدنيا وان قالوا انه كان ينبغي ان لا يتوالدوا كيلا تضيق عليهم المساكن والمعايش قيل لهم
اذا كان يحرم اكثر هذا الخلق دخول العالم الا قرن واحد لا يتوالدون ولا يتناسلون فان
قالوا كان يخلق في ذلك القرن الواحد من الناس مثل ما خلق ويخلق الى انقضاء العالم يقال لهم
رجع الامر الى ما ذكرنا من ضيق المساكن والمعايش عنهم ثم لو كانوا لا يتوالدون ولا
يتناسلون لذهب موضع الانس بالقرابات وذوي الارحام والانتصار بهم عند
الشدائد وموضع تربية الاولاد والسرور بهم ففي هذا دليل على ان كل ما تذهب اليه
الاوهام سوى ما جرى به التدبير خطا وسفاه من الراي والقول ولعل طاعنا
يطعن على التدبير من جهة اخرى فيقول كيف يكون ههنا تدبير ونحن نرى الناس
في هذه الدنيا من عز بز فالقوي يظلم ويغصب والضعيف يظلم ويسام الخسف
والصالح فقير مبتلى والفاسق معافى موسع عليه ومن ركب فاحشة وانتهك

مبرئين من الافات فينبغي ان
يساق هذا الامر

والاستمتاع بنعم الله ومواهبه في
الدارين جميعا اذا لم يدخل العالم

محرما لم يعاجل بالعقوبة فلو كان في العالم تدبير لجرت الامور على القياس القائم فكان
الصالح هو المرزوق والطالح هو المحروم وكان القوي يمنع من ظلم الضعيف والمتهتك
للمحارم يعاجل بالعقوبة فيقال في جواب ذلك ان هذا لو كان هكذا لذهب موضع الاحسان
الذي فضل به الانسان على غيره من الخلق وحمل النفس على البر والعمل الصالح احتسابا
للثواب وثقة بما وعد الله منه ولصار الناس بمنزلة الدواب التي تساس بالعصا والعلف
ويلمع لها بكل واحد منهما ساعة فساعة فيستقيم على ذلك ولم يكن احد يعمل على يقين بثواب
او عقاب حتى كان هذا يخرجهم من حد الانسية الى حد البهايم ثم لا يعرف ما غاب ولا يعمل
الا على الحاضر وكان يحدث من هذا ايضا ان يكون الصالح انما يعمل الصالحات للرزق
والسعة في هذه الدنيا ويكون الممتنع من الظلم والفواحش انما يعف عن ذلك لترقب
عقوبة تنزل به من ساعته حتى يكون افعال الناس كلها تجري على الحاضر ولا
يشوبها شيء من اليقين بما عند الله ولا يستحقون ثواب الآخرة والنعيم الدائم مع ان
هذه الامور التي ذكرها الطاعن من الغنى والفقر والعافية والبلاء ليست بجارية على
خلاف قياسه بل قد تجري على ذلك احيانا والامر المفهوم فقد ترى كثيرا من الصالحين
يرزقون المال لضروب من التدبير وكيلا يسبق الى قلوب الناس ان الكفار هم
المرزوقون والابرار هم المحرومون فيؤثرون الفسق على الصلاح وترى كثيرا من الفساق
يعاجلون بالعقوبة اذا تفاقم طغيانهم وعظم ضررهم على الناس وعلى انفسهم
كما عوجل فرعون بالغرق وبخت نصر بالتيه وبلبيس بالقتل وان امهل بعض الاشرار
بالعقوبة واخر بعض الاخيار بالثواب الى دار الآخرة لاسباب تخفى على العباد لم
يكن هذا مما يبطل التدبير فان مثل هذا قد يكون من ملوك الارض ولا يبطل
تدبيرهم بل يكون تاخيرهم ما اخروه وتعجيلهم ما عجلوه داخلا في صواب الراي
والتدبير واذا كانت الشواهد تشهد وقياسهم توجب ان للاشياء خالقا حكيما

قادرا فما يمنعه ان يدبر خلقه فانه لا يصح في قياسهم ان يكون الصانع يهمل
صنعته الا باحدى ثلاث خلال اما عجز واما جهل واما شرارة وكل هذه محال في
صنعته عز وجل وتعالى ذكره وذلك ان العاجز لا يستطيع ان يأتي بهذه الخلائق
الجليلة العجيبة والجاهل لا يهتدي لما فيها من الصواب والحكمة والشرير لا يتطاول
لخلقها وانشائها واذا كان هكذا وجب ان يكون الخالق لهذه الخلائق يدبرها لا
محالة وان كان لا يدرك كنه ذلك التدبير ومخارجه فان كثيرا من تدبير الملوك
لا تفهمه العامة ولا تعرف اسبابه لانها لا تعرف دخلة امر الملوك واسرارهم فاذا
عرف سببه وجد قائما على الصواب والشاهد المحنة ولو تشككت في بعض الادوية
والاطعمة فتبين لك من جهتين او ثلاث انه حار او بارد الم تكن ستقضي عليه
بذلك وتنفي الشك فيه عن نفسك فما بال هؤلاء الجهلة لا يقضون على العالم بالخلق
والتدبير مع هذه الشواهد الكثيرة واكثر منها ما لا يحصى كثرة لو كان نصف العالم
وما فيه مشكلا صوابه لما كان من حزم الراي وسمت الادب ان يقضى على العالم بالاهمال
لانه كان في النصف الاخر وما يظهر فيه من الصواب والاتقان ما يردع الوهم
عن التسرع الى هذه القضية فكيف وكل ما فيه اذا فتش وجد على غاية الصواب
حتى لا يخطر بالبال شيء الا وجد ما عليه الخلقة اصح واصوب منه واعلم يا مفضل
ان اسم هذا العالم بلسان اليونانية الجاري المعروف عندهم قوسموس وتفسيره
الزينة وكذلك سمته الفلاسفة ومن ادعى الحكمة افكانوا يسمونه بهذا الاسم الا
لما راوا فيه من التقدير والنظام فلم يرضوا ان يسموه تقديرا ونظاما حتى سموه زينة
ليخبروا انه مع ما هو عليه من الصواب والاتقان على غاية الحسن والبهاء اعجب يا مفضل
من قوم لا يقضون على صناعة الطب بالخطأ وهم يرون الطبيب يخطي ويقضون على
العالم بالاهمال ولا يرون شيئا منه مهملا بل اعجب من اخلاق من ادعى الحكمة حتى جهلوا

غير انه موجود فقط فاذا قلنا كيف وما هو فممتنع علم كنهه وكمال المعرفة به واما اذا هو
فا قط في صفة الخالق لانه جل ثناؤه علة كل شيء وليس شيء بعلة له ثم ليس علم الانسان
بانه موجود موجب له ان يعلم ما هو وكيف هو وكذلك الامور الروحانية اللطيفة
فان قالوا فانتم الان تصفون من قصور العلم عنه وصفا حتى كانه غير معلوم قيل لهم
هو كذلك من جهة اذا رام العقل معرفة كنهه والاحاطة به وهو من جهة اخرى اقرب
من كل قريب اذا استدل عليه بالدلايل الشافية فهو من جهة كالواضح لا يخفى على احد
وهو من جهة كالغامض لا يدركه احد وكذلك العقل ايضا ظاهر بشواهده ومستور
بذاته فاما اصحاب الطبايع فقالوا ان الطبيعة لا تفعل شيئا لغير معنى ولا عما فيه
تمام الشيء في طبيعته وزعموا ان الحكمة تشهد بذلك فقيل لهم فمن اعطى الطبيعة
هذه الحكمة والوقوف على حدود الاشياء بلا مجاوزة لها وهذا قد تعجز عنه العقول
بعد طول التجارب فان اوجبوا للطبيعة الحكمة والقدرة على هذه الافعال فقد اقروا
بما انكروا لان هذه هي صفات الخالق وان انكروا ان يكون هذا للطبيعة فهذا وجه الخلق
يهتف بان الفعل للخالق الحكيم وقد كان من القدماء طايفة انكروا العمد والتدبير
في الاشياء وزعموا ان كونها بالعرض والاتفاق وكان مما احتجوا به هذه الايات التي
تكون على غير مجرى العرف والعادة كالانسان يولد ناقصا او زايدا اصبعا ويكون المولود
مشوها مبدل الخلق فجعلوا هذا دليلا على ان كون الاشياء ليس بعمد وتقدير بل بالعرض
والاتفاق وانما هو شيء ياتي في الفرط مرة لاعراض تعرض للطبيعة وتزيلها عن سبيلها
وليس بمنزلة الامور الطبيعية الجارية على شكل واحد جريا دايما متتابعا وانت يا
مفضل ترى اصناف الحيوان يجري اكثر ذلك على مثال ومنهاج واحد كالانسان
يولد وله يدان ورجلان وخمس اصابع كما عليه الجمهور من الناس فاما ما يولد على
خلاف ذلك فانه لعلة تكون في الرحم او في المادة التي ينشو منها الجنين كما يعرض

في الصناعات حين يتعمد الصانع الصواب في صنعته فيعوق دون ذلك عائق في
الاداة او في الالة التي يعمل فيها الشيء فقد يحدث مثل ذلك في اولاد الحيوان
للاسباب التي وصفنا فياتي الولد زايدا او ناقصا او مشوها ويسلم اكثرها فياتي
سويا لا علة فيه فكما ان الذي يحدث في بعض اعمال الاعراض لعلة فيه لا توجب عليها
جميعا الاهمال وعدم الصانع كذلك ما يحدث على بعض الافعال الطبيعية لعائق يدخل
عليها لا توجب ان يكون جميعها بالعرض والاتفاق فقول من قال في الاشياء
ان كونها بالعرض والاتفاق من قبل ان شيئا منها ياتي على خلاف الطبيعة يعرض
له خطاء وخطل فان قالوا ولم صار مثل هذا يحدث في الاشياء قيل لهم ليعلم
انه ليس كون الاشياء باضطرار من الطبيعة ولا يمكن ان يكون سواه كما قال قايلون
بل هو تقدير وعمد من خالق حكيم اذ جعل الطبيعة تجري اكثر ذلك على مجرى ومنهاج
معروف ويزول احيانا عن ذلك لاعراض تعرض لها فيستدل بذلك على انها مصرفة
مدبرة فقيرة الى ابداء الخالق وقدرته في بلوغ غايتها واتمام عملها تبارك الله احسن
الخالقين يا مفضل خذ ما اتيتك واحفظ ما منحتك وكن لربك من الشاكرين
ولالائه من الحامدين ولاوليائه من المطيعين فقد شرحت لك من الادلة على
الخلق والشواهد على صواب التدبير والعمد قليلا من كثير وجزءا من كل فتدبره وفكر
فيه واعتبر به فقلت بمعونتك يا مولاي اقوى على ذلك وابلغه ان شاء الله فوضع يده على
صدري فقال احفظ بمشية الله ولا تنس ان شاء الله فخررت مغشيا يا مفضل
فقلت قد استغنيت بمعونة مولاي وتاييده عن الكتاب الذي كتبته وصار ذلك
بين يدي كانما اقراه من كفي ولمولاي الحمد والشكر كما هو مستحقه فقال يا مفضل فرغ
قلبك واجمع اليك ذهنك وعقلك وطمانينتك فسالقي عليك من علم ملكوت
السموات والارض وما خلق الله بينهما وفيهما من عجايب خلقه واصناف الملائكة

الخالق

فلما افقت قال كيف ترى نفسك

اهله

وصفوتهم وخلفائهم ووصل تحياتهم الى سدرة المنتهى وسائر الخلق من الجن والانس
الى الارض السابعة السفلى وما تحت الثرى حتى يكون ما وعيته جزءا من اجزاء النفي
اذا شئت مصاحبا مكلوءا فانت منا بالمكان الرفيع وموضعك من قلوب
المؤمنين موضع الماء من الصدى ولا تسئلن عما وعدتك حتى احدث لك منه ذكرا
قال المفضل فانصرفت من عند مولاي بما لم ينصرف احد بمثله والحمد لله رب
العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

قال حدثني محرز بن سعيد النحوي بدمشق قال حدثني محمد بن ابي مسهر بالرملة
عن ابيه عن جده قال كتب المفضل بن عمر الجعفي الى ابي عبد الله جعفر بن محمد
يعلمه ان اقواما ظهروا من اهل هذه الملة يجحدون الربوبية ويجادلون على ذلك
ويسأله ان يرد عليهم قولهم ويحتج عليهم فيما ادعوا بحسب ما احتج به على غيرهم
فكتب ابو عبد الله عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم
اما بعد وفقنا الله واياك لطاعته واوجب لنا ولك رضوانه برحمته وصل كتابك
تذكر فيه ما ظهر في ملتنا وذلك من قوم من اهل الالحاد بالربوبية قد كثرت عدتهم
واشتدت خصومتهم وتسأل ان اصنع للرد عليهم والنقض لما في ايديهم كتابا على نحو ما رددت على
غيرهم من اهل البدع والاختلاف ونحن نحمد الله على النعم السابغة
والبلاء المحمود عند الخاصة فان نعمه العظام علينا والاءه الجسام التي
خلقه من معرفته وانزل عليهم كتابا فيه شفاء لما في الصدور
ومشتبهات الامور ولم يدع لهم ولا لشيء من خلقه حاجة الى من سواه
وعظم شكرها واستغنى بالله عليهم واستغنى بر عنهم والله

لما فيه الى الجهال من قبل ربهم وانهم لا يرون الدلالات الواضحات والعلامات البينات
الظاهرات في خلقهم وما يعاينون من السماء والارض من الصنع العجيب المتقن ولكن فتحوا
على انفسهم ابواب المعاصي والشبهات وسهلوا لها سبيل الشهوات فغلبت الاهواء على
قلوبهم واستحوذ الشيطان عليهم وكذلك يطبع الله على قلوب المعتدين والعجب من
من مخلوق يزعم ان الله يخفى على عباده وهو يرى اثر الصنع في نفسه بتركيب يبهر عقله
وتاليف يبطل جحوده ولعمري لو تفكروا في هذه الامور العظام المحدودة في الاجسام لعاينوا
فيها من التركيب البين ولطيف التدبير الظاهر وعجيب الصنع المتقن ما يدلهم على الصانع
لها وهل يخلو مخلوق محدود ان يكون فيه اثر الصنع والتدبير فيشهدان ان له خالقا حكيما
وقد وافاني كتابك على اشتغال مني فرسمت كتابا كنت نازعت فيه بعض اهل الانكار لله
عز وجل وذلك انه كان يحضرني طبيب من بلاد الهند لا يزال ينازعني في رايه ويجادلني
على ضلالته فبينا هو ذات يوم يدق اهليلجة لدواء احتاج اليه من ادويته اذ عرض له شيء
من كلامه الذي لم يزل ينازعني فيه من ادعائه ان الدنيا لم تزل ولا تزول شجرة نابتة
واخرى ساقطة ونفس تولد واخرى تموت وزعم ان انتحالي المعرفة لله عز وجل دعوى لا بينة لي
عليها ولا حجة وذلك شيء اخذه الاخر عن الاول والاصاغر عن الاكابر وان الاشياء
المختلفة والمؤتلفة والباطن والظاهر انما يعرف بالحواس الخمس وهي البصر بالعين والشم
بالانف والسمع بالاذن والذوق بالفم واللمس بالجوارح يؤديه الى القلب انكار الله تبارك
ونعم فقلت له لما رايته انه امن بالله عز وجل وجهه ومحجته اشهد يقينا ان احدنا
صادق والاخر كاذب قال لا بد من ذلك قلت ارايت ان كان ما تقول وقولك انا
على شيء ما خوفتك به من عذاب الله قال لا قلت ارايت ان كان الحق في يدي اليس
قد وقعت بجحودك وانكارك في الهلكة قال بلى قلت فاينا اقرب الى النجاة قال انت
الا انك من امرك على ادعاء وشبهة وانا على يقين لاني لا ارى شيئا ادركته وما لم

الحواس فليس بحجة قلت فاخبرني هل احطت بالجهات كلها وبلغت منتهاها فقال
الى هذه السماء التي ترى وانحدرت الى الارض السفلى فذرعت اقطارها وانتهيت
الى اطرافها وهل غصت في الغمرات من البحور واشرفت في نواحي الهواء فيما فوق السماء
وما تحتها الى الارضين وما اسفل منها قال لا فكيف قد ايدت بعلم الذي انكره قلبك
في بعض ما لم تدركه حواسك ولم يحط به علمك قال لا ادري لعل في بعض ما ذكرت مدبرا
ولعل ليس في ذلك قلت اما اذا خرجت عن حد الانكار الى حد الشك فاني ارجو
ان يخرج الى حد المعرفة قال انما دخل الشك علي بسؤالك اياي عما لم يحط به عقلي ولكن من
اين دخل اليقين ولم يدركه حواسي قلت من قبل هليلجتك هذه قال ذا اثبت لي من
هذه الهليلجة لانها من اداة الطب الذي ادعي معرفته تابعتك قلت انما اردت ان اتيك
من قبلها لانها اقرب الاشياء منك ولو كان شيء اقرب منه اليك لاتيتك من قبله
لان في كل شي تدبيره وتركيب وشاهدا يدل على صنعه الدالة على من صنعه ولم يك
شيا فاخبرني عن هذه الهليلجة تعقل انها من شجرة خرجت او تقول هكذا وجدت
قال لا بلى من شجرة خرجت قلت فهل ادركت حواسك تلك الشجرة قال لا قلت
فما دلك الا قد اقررت بشجرة لم يدركها حواسك قال لا ولكن ازعم ان الهليلجة و نبت
الاشيا المختلفة والموتلفة لم تزل تدرك قلت فاخبرني عن هذه الهليلجة التي عا
شجرتها عرفت صفتها والهليلجة ليست فيها ثم حدثت اليها والهليلجة فيها اليس
تعلم انها حدثت قال بلى ولكن ازعم انها كانت فيها متفرقة قلت فهل يحتمل عقلك
ان شجرة تبلغ اصلها وفرعها ولحاؤها مع كثرة ورقها ما ظهرت ورقها كذا وكذا ارطال
الوف ارطال لا تحصى كثرة كانت كامنة في تلك الهليلجة وهي على ما ترى من الصغر
والقلة قال ما يحتمل عقلي هذا ولا يقبله قلبي ولو علمت انها لم تكن كامنة ولكن ارى
انها مصنوعة قلت ارايت البناء اذا انقض البنا ورايت صورة اتقان لها مصورا قال لا بد

من ذلك قلت اليس تعلم ان هذه الهليلجة نظم ركب على عظام موضع فيجري متصل
بعضو مركب الى ساق يقوم على اصل فيقوى بعروق من تحتها وهي مصورة بتقدير
وتخطيط وتاليف وتركيب وتفصيل مداخل موتلف شيا في شي وطبقا بعد طبق وجسما
على جسم مع لون بياض وصفرة مداخل في بياض ولين على لين ولين على شدة طبايع
متفرقة وطرايق مختلفة واجزاء موتلفة مع لحي تسقيها وعروق يجري فيها الماء وورق
يسترها ويقيها من الشمس ان تحرقها والبرد ان يهلكها والريح ان تذبلها قال افليس
لو كان الورق مطبقا عليها كان خيرا لها قلت الله عز وجل احسن تقديرا لو كانت
كما تقول لم يصل اليها الريح بنسيمها ولا البرد فيشدها ولعفنت عند ذلك ولو لم يصل
اليها حر الشمس ما نضجت ولكن يصيبها مرة برد ومرة حر ومرة ريح ليقدر ذلك تقديرا
لطيفا بحكم تدبير الحكيم قال حسبي فقد من المدبر قلت ان الهليلجة قبل ان تنعقد وهي في
قمعها بغير نواها بلا لحم ولا قشر ولا لون ولا طعم ولا شدة قال لم يكن الا الماء الضعيف
هو الذي قبله مثل الخردل الذي يربيه علمنا ان لذلك خالقا يقدره بلطف وهو
بحكمة ويربيه بقوته ولولا ذلك لما لم يزيد على ان يكون في قمعها ليس برايد ولا
مصور بتخطيط ولا مركب بتقدير ولا اثرت بزيادة اجزاء ولا تاليف طبايع قال
لقد ابنت لي من تصوير شجرها وتاليف خلقها وتصريف حالاتها وزيادة اجزائها
باوضح الدلالة واظهر البينة على معرفة الصنعة ولكن معي بعض الشك في الصانع الذي
لم ادركه بحواسي فبين لي كيف يعرف القلب ما لم تدركه الحواس فان اول ما ابدا به
الحواس فيما ذهبت او ذهب بعضها قلت تزعم ان القلب مدبر الاشياء التي فيها المنفعة
والمنفعة من الامور الغايبة الخفية وهو الامر لها والناهي فيما ادركت الحواس ودبره
القلب فضح ذلك الامر ويعقد فيه مضاوة وانه لا ينفع الحواس بعدها الا القلب ان
القلب يبقى بعد ذهاب الحواس قال صدقت ولكن معي قليل على الاشياء التي يستدل

عليه الحواس وبات كثير. يستدل القلب بغير الحواس قلنا ان اول ذلك الطفل بضعف
لبن يستدل على الثدي بالحواس لانه لا يسمع ولا يبصر وهو طالب الرضاع فيلتقط ويشبع
باللبن ويضحك بعد البكاء اذا روي فعلمنا ان الذي قذف في قلب الصبي حتى عرف
وهو مضغة مدبر حكيم والا فاي الحواس دل الصبي على طلب الرضاع ومص الثدي
ومن في اساغة اللبن وقذف في قلبه حتى طلب ما لم يعرفه قط واي الحواس دل
على الضحك اذا روي وعلى البكاء اذا جاع واي الحواس دل الطير على لقط الحب
ومن دل السباع على ابتلاع اللحم واي حواس الطير طير الله دلها على السباحة اذا القيت
في الماء وانقذف به ولم ينتفع طير البر في حواسه والحواس راجعة امرها الى الذرة ابن
الماء حط نطرح في الماء وتسبح ويلقى الانسان من اقوى الرجال في الماء واعظم
لم يتعلم السباحة فيغرق وكيف لم يدرك عقله ولبه وتجربته وبصره واجتماع حواسه
وهي فيه مصححا ان يدرك ذلك حواسه كما ادركته الذرة فان كان انما ادركت ذلك الحواس
وكيف يخفى على ذي لب وعقل ان القلب معه والعقل في الصبي وغيره من الحيوان
وان الذي هيج الصبي على طلب الرضاع والطير على لقط الحب والسباع على ابتلاع اللحم
لعزيز حكيم فالعالم اجد القلب يعلم شيا الا بالحواس قلنا اذا ما ابيت فسا اينك بشي
يستقر عندك انها لا تعرف شيا الا الظاهر واما ما يخفى فليس تعرفه وذلك ان الله
تبارك وتعالى خلق القلب والعين والاذن فاحتج بها على العباد وصير الحواس دلالات
على الظاهر الذي يستدل به العقل على الرب الخالق فنظرنا العين الى خلق مختلف
متصل بعضه ببعض فدلها القلب على ان لذلك خالقا وذلك انه فكر حيث دلته العين
على ان ما عاينت من عظم السماء وارتفاعها في الهواء بغير عمد ولا دعامة تمسكها وانها لا
تنحط ولا تتقدم فتزول ولا تهبط مرة فتدنو ولا ترتفع فلا ترى ولا تتغير لطول
الابد واختلاف الليل والنهار ولا استداعي منهما ابدا حينه ولا نيها ومنها طرف ما عاينت من

النجوم جارية لسبعة المخالف سيرها الدوران الفلك وتنقلها في البروج يوما بعد
يوم وشهرا بعد شهر وسنة بعد سنة فمنها السريع ومنها البطي ومنها المعتدل السير
ثم رجوعها واستقامتها واجتماعها طولا وعرضا وخنسها تحت الشمس وهي مشرقة وجري
الشمس والقمر فلا يتغير جريها ولا يحول عن حالتها ولا يفتر عن مسير ولا طلوع ثم اتكاف
الشمس والقمر في ازمانها واوقاتها فعرف القلب حين فكر ان لذلك التدبير والامر العجيب
صانعا وان الذي بسط السماء الظليلة ان تهوي وهو الذي جعل فيها النجوم والشمس
والقمر ثم نظرت العين الى ما استقبلها من الارض فدلها القلب على ان لها خالقا وذلك
ان القلب فكر حيث دلته العين على ما عاينت من سكون الارض الممتدة ان تزول وتهوي في
شي منها وهو يرى الريش ترمي بها فتسقط وهي في خفة على ما هو عليه الى الارض والنظر
الى الارض وهي على ما هي عليه من الثقل لا تزول ولا تسقط فعرف القلب ان لها ممسكا
ومدبرا ولولا ذلك لانخسفت بما عليها من ثقلها وثقل الجبال والانام والشجر والبحور
والرمال ثم سمعت الاذن صوت الرياح الشديدة العاصفة واللينة الطيبة وعاينت العين
ما يقلع من عظيم الصخور وتهدم من البنيان وتسفي من ثقيل الرمال تعاقب ناحية وتضع
اخرى بلا سايق تبصره العين ولا تسمعه الاذن ولا يدرك بشي من الحواس وليست مجسدة تلمس
ولا محدودة فتعاين فلم يرد العين والاذن والحواس على ان ذلك القلب ان لها صانعا وذلك
ان القلب فكر حيث دلته الحواس بكل ما سمعت وعاينت فعرف القلب ان الريح لم تتحرك من تلقاء
نفسها وانها لو كانت هي المتحركة لم تسكن عن التحرك ولم تهدم ناحية وتعطي اخرى ولم تصب
ارضا وتدع اخرى فعرف القلب حينئذ ان لها مدبرا وهو الذي يسوقها حيث اراد و
يسكنها حيث شاء وكذلك دلت العين والاذن والقلب على هذه الزلزلة فدلها القلب
على ان لها خالقها وذلك ان القلب فكر حيث دلته العين على ما عاينت من تحرك الارض
في عظمها وثقلها وطولها وعرضها وما عليها من ثقل الجبال والمياه والانام والشجر وغير ذلك

للموتى وكلمتهم وباي الحواس ادركت اكل الطعام والشراب والحولات في البلاد والضحك
والبكاء وغير ذلك وقد رفت علمها في قلبك حتى ذكرتها بعدما استيقظت قال
ان الذي رايت في مناحي ليس بشيء انما هو بمنزلة السراب يعاينه صاحبه ولا يشك
الا انه ماء فاذا انتهى الى مكانه لم يجده شيئا قلت وكيف شبهت السراب بما رايت في منامك
واكلك الطعام الحلو والحامض والفرح والحزن قال لان السراب حيث انتهيت اليه لم
يك شيئا قلت افما اذا ايت فانا ابعث بشيء لم توجد لذة في منامك وحقوق لذلك
قلبك وكذلك احتلامك بالمراة فتقضي منها شهوتك ويجد لذة ذلك على قدر ما تجد
ان تجده في اليقظة فيتبين وقد انزلت الشهوة حتى تخرج منك بقدر ما تخرج منك
في اليقظة تجد لذلك اثر عظيم مع لذة هذا اكسر لحجتك في السراب قال ما يرى المحتلم
في منامه شيئا الا ما كانت حواسه دلت عليه في اليقظة قلت ما زدت على ان قويت مقالتي
وزعمت ان القلب يعقل الاشياء ويعرفها بعد ذهاب الحواس وموتها فكيف انكرت
ان القلب يعرف الاشياء وهو يقظان مجتمع له حواسه وما الذي عرفه اياها بعد موت
الحواس وهو لا يسمع ولا يبصر ولو كنت حققت انك تنكر له المعرفة حواسه مجتمعة
فاذا انت رايت ان تنظر الى امراة حسناء بعد ذهاب حواسه حتى نكحها واصاب لذة منها فقد
ينبغي لمن يعقل حيث وصف القلب بما وصف له من معرفته بالاشياء والحواس ذاهبة
عنه بعد ان يعرف القلب مدبر الحواس وملكها ورأسها والقاضي عليها فانه ما جهل الانسان
من شيء مما جهل ان اليد لا تقدر على العين ان تقلعها ولا على اللسان ان تقطعه
ولا على نفسها ان تقطعها وانه ليس يقدر شيء من الحواس ان يفعل بشيء من الجسد
شيئا بغير اذن القلب ودلالته وتدبيره لان الله تبارك وتعالى جعل القلب مدبرا
للجسد به يسمع وبه يبصر وهو القاضي والامير عليه لا يتقدم الجسد ان هو تاخر ولا يتاخر
ان هو تقدم وبه سمعت الحواس وبصرت وان امرها ائتمرت وان نهاها

انتهت وبه ينزل الفكرة والحزن وبه ينزل الالم وان فسد شيء من الحواس بقي على حاله
وان فسد القلب ذهبت جميعا حتى لا تسمع ولا تبصر قال لكنت اظنك لا تخلص
من هذه المسالة وقد جئت بشيء لا اقدر على رده قلت وانا اعطيك تصاديق
ما انبأتك به وما رايت في منامك في مجلس الساعة قال افعل فاني قد تحيرت
في هذه المسالة قلت اخبرني تفسك من تجارة او صناعة او بناء او تقدير
شيء تامر به اذا احكمت تقديره في قلبك قال نعم قلت فاشركت قلبك
في ذلك الفكر شيئا من حواسك قال لا قلت افلا تعلم ان الذي اخبرك به قلبك
حق قال اليقين هو فزدني ما يذهب الشك عني ويزيل الشبه من قلبي قلت
قلت اخبرني هل تعلم اهل بلادك علم النجوم قال انك لغافل عن علم اهل بلادي
فليس احد اعلم بذلك منهم قلت اخبرني كيف وقع علمهم بالنجوم وهي مما لا يدرك
بالحواس ولا بالفكر قال حساب وضعه الحكماء وتوارثه الناس فاذا سالت
العالم عن شيء قاس الشمس ونظر في حالها وحال القمر وما الطالع من النحوس
في البروج وما الباطن من السعود منها فيحسب فلا يخطئ بالمولود فيخبر فيه بكل علامة فيه
بغير معاينة قلت وكيف دخل الحساب في مواليد الناس قال لان الناس انما يولدون
بهذه النجوم فمن ثم لا يخطئ الحساب اذا علمنا الساعة واليوم والشهر والسنة التي يولد فيها
المولود قلت فتعالى ننظر بعقولنا هل يستقيم ان يكون يعلم الناس هذا من بعض
الناس اذا كان يولد من بهذه النجوم وان قلت ان الحكماء من الناس هم الذين وضعوا
هذا الحساب وعلم مجاري هذه النجوم وعرفت نحوسها من سعودها ودورها بعدها
وبطئها من سريعها ومواقعها من السماء ومواضعها من تحت الارض فان منها
سبع طالعة في السماء وستة باطنة تحت الارض وكذلك النجوم السبعة تجري
على حساب تلك النجوم وما يقابل القلب ولا بد للعقل ان مخلوقا من الارض

قدر على الشمس حتى يعلم في اي البروج هي وفي اي برج القمر وفي اي برج هذه النحوس والسعود
ومنها الباطن وهي معلقة في السماء وهي تحت الارض ولا يراها الا بتوارت بضوء الشمس
الى ان تزعم ان هذا الحكيم رقي في السماء حتى علم هذا ثم قلت وهبه رقي الى السماء
هل لهيدان يخرج مع كل برج من البروج ونجم من هذه النجوم من حيث يغرب الى حيث
يطلع ثم يعود الى الاخر فيفعل ذلك بكلها ومنها مناخع ما يقطع السماء في ثلثين سنة
ومنها ما يقطعها في اقل من ذلك وهل كان لزيدان يجول في اقطارها حتى يعرف مطالع
السعود والنحوس منها ويقبه وهبه قدر على ذلك حتى فرغ منه كيف كان يستقيم له
ما في السماء حتى يحكم حساب ما في الارض ويبقيه ويعرفه ويعاينه كما قد عاينه في السماء
فقد علمت ان مجاريها تحت الارض على حساب مجاريها والسماء وانه لا يعرف حسابها
ودقايقها الا بمعرفة ما غاب منها لانه لا ينبغي ان يعرف اي ساعة من الليل تطلع طالعها
واي ساعة من الليل تغيب غايبها ولانه لا يصلح للمتعلم ان يكون واحدا حتى يصح لحساب
وكيف يمكن ذلك وهي في تحت الارض وهو على ظهرها لا يرى ما تحتها الان
يزعم ان ذلك الحكيم دخل في ظلمات الارضين والبحر فسار مع الشمس والنجوم والقمر
في مجاريها على حساب ما سار في السماء حتى عاين ما تحت الارض منها كما عاين منها
ما في السماء قال وهل قلت لك ان احدا رقي السماء وقدر على ذلك حتى اقول انه دخل
الارض والظلمات حتى يطرا النجوم ومجاريها قلت فكيف وقع هذا العلم الذي
زعمت ان الحكماء من الناس وضعوه وان الناس كلهم يولدون به وكيف عرفوا ذلك
الحساب وهو اقدم منهم قال ما احد يستقيم ان يقول احدا من الناس يعلم علم هذه
النجوم المعلقة في السماء بتعليم احد من الناس قلت لا بد لك ان تقول انما علمه علم
حكيم بامر السماء والارض ومدبرها قال ان قلت هذا فقد اقررت بالهك
الذي تزعم غير انا اعلم انه لا بد لهذا الحساب من معلم وان قلت ان احدا

من اهل

من اهل الارض علم ذلك من غير معلم من اهل الارض لقد ابطلت الان علم الارض لا يكون
عندنا الا بالحواس ولا يقع علم الحواس في علم النجوم وهي معلقة تغيب مرة وتطلع
اخرى تجري تحت الارض كما تجري في السماء وما ادت الحواس على اكثر من النظر
المطالعها اذا طلع والى علمها اذا غاب واما حسابها ودقايقها وسعودها ونحوسها
وسريعها وبطيها فلا يقدر عليه الحواس قلت فاخبرني لو كنت معلما مستوصفا
لهذا الحساب من الارض احب اليك ان تستوصفه وتتعلمه ام من اهل السماء قال
من اهل السماء اذا كانت النجوم معلقة فيها حيث لا يعلمها اهل الارض قلت
فافهم الطف النظر ولا يغلبنك الهوى اليس تعلم انه اذا كان اهل الدنيا يولدون
بهذه النجوم ان النجوم قبل الناس فاذا اقررت بذلك انكسر عليك ان تعلم علمها من
عالم منهم اذ كان العالم وهم انما ولدوا بها بعدها وانها قبلهم خلقت قال بلى
قلت وكذلك الارض كانت قبلهم ايضا قال نعم قلت لانه لو لم يكن الارض خلقت
لما استقام ان يكون ولا غيرهم من الخلق عليها الا ان يكون لها اجتمعا لم يكن
لها ما ياوي اليه ولا مبلغه يرجع اليها وكذلك الفلك قبل النجوم والشمس والقمر
لولا الفلك لم تدر البروج ولم يستقل مرة ويهبط اخرى قال نعم هو كما قلت فقد
اقررت بان خالق النجوم التي يتولد الناس بها هو خالق السماء والارض لانه لو لم يكن
سماء ولا ارض لم يكن دوران الفلك افليس ينبغي لك ان يدلك عقلك على ان
الذي خلق السماء هو الذي خلق الارض والفلك والدوران والشمس والقمر و
النجوم قال اشهد ان الخالق واحد ولكن لست ادري كيف سقطوا على هذه الحساب
حتى عرفوه وعلى هذه الدورة والصواب ولو اعرف من الحساب ما عرفت لا قررت
بالجهل وكان اهون علي غير اني اريد ان تزيدني شرحا قلت ابتك من قبل هليلجتك
هذه التي في يدك وما تدعي من الطب الذي هو صناعتك وصناعة ابايك

ومن الاخر قيراط فما فوق ذلك فما دون حتى يجي
ومن الاخر مثقالا ان
بقدر واحد اذا اسقيت منه صاحب البطن بقدر ما يمسك بطنه وهو
دواء واحد الا انه اختلف في الوزن والمزاج وان زدت من بعضه ونقصت
من بعض على المقدار اهلكت صاحب البطن وصاحب القولنج وكيف عرف
الحكيم ان الدواء الذي يسقى منه بوجع الراس لا ينحدر على الرجلين والانحدار
اهون وما يسقى منه للقدمين فلا يصعد الى الراس وهو عند الراس عند
السلوك اترى امر كيف عرف ان كل عرق واحد له دواء يسقى لعضو لا ياخذ
الا في طريقه والا العروق التي تسقى لها وذلك الى المعدة يصير منها بقدر
وكيف عرف انه لا يسفل منه ما يصعد ولا يصعد منه ما سفل ام كيف
عرف ان ما ينفع الاذن لا ينفع العين الاذن ام كيف ادركت العقول
او الحواس هذا وهو غايب في الجوف والعروق في اللحم وتحت الجلد لا يدرك
بالسمع والبصر ولا بالشم ولا بالذوق الا ان يكون الحكيم كان اذا سقى
احدا من الناس من هذه الادوية شيئا ثم شق بطنه وتتبع عروقه كيف
عرف دواء والدواء اذا خرج من المعدة الى العروق اختلط بالدم
فصار شيئا واحدا كيف عرف مجاري دوائه في الانسان اذا مات برد
وجمد وصار غليظا لا يستدل عليه او يكون كلون الدم قال لقد حملتني
على خطة صعبة ما حملت على مثلها ولقد جئت باشياء لا اقدر على ردها
فاخبرني كيف علم العباد هذه الادوية التي فيها المنافع حتى خلطوها
وتتبعوها وطلبوا عقاقيرها في هذه البلدان المفترقة قلت انما عرفوا
ذلك في الاماكن وكم يدخل صنف منها بتعليم غارس الحديقة بين المشرق
والمغرب وما يجمع ما وصفنا من شجرة وبقلة وطير وسبع وهو باري الاجساد

وركب العروق التي فيها مجاري الدم من العصب واللحم لاعضا العباد
يوحي منه على صفة كل شجرة وبقلة وما صلح منها للدواء من العروق
والثمر والزهر واللحا والورق والعصارة والعيدان وكذلك هو
خالق الطير والسبع والدواب التي في البر والبحر في ضرايرها المنافع وما
يدخل في تلك الادوية منها وترك ما لا منفعة فيه ولولا ان خالق هذه
الاشياء واحد دل عليها يوحي منه الى عباده ما اهتدوا لها قال ان هذا
لكما تقول وقد بطلت التجارب عند هذه الصفات فما الدليل على
الحديقة بجميع ما فيها من النبت والشجر والاجساد هو خالق واحد وهو
خالق السماء والارض قلنا انما يدل على ان الخالق الارض هو خالق الحد
انه لو لم يكن لغارس هذه الحديقة وخالق هذه الاجساد والدواب والطير
والناس الذين خلقت لهم هذه الاشياء وطمعا منهم ان يخلق هذا الخلق
ويغرس هذا الغرس في ارض غيره مما ان شاء منع ذلك وكذلك انما ينبغي
ان تعلم انه من خلقه اذ كانت الحديقة لا يصلح الا بشربها من الماء الذي لا
حيوة لشيء الا به ولو تكلف ذلك غيره حتى يكون خالقا لما سواه فيحبسه
اذا شاء لافسد الحديقة واهلك الخليقة وكذلك ينبغي لك ان تعلم ان البحر
من خلقه اذ كانت الحديقة لا تصلح الا ان يكون لها مغيض لما يفضل من
شربها فيحبسه عن الحديقة لولا ذلك لغاص عليها الماء فاهلك جميع ما
فيها كما يهلكها لو احتبس عنها فلم تشرب وذلك ان جميع فضول المياه تصير
الى البحر فلا تراه زايدا ان كثرت وتتابعت معها الامطار على الحد الذي لم يزد
عليه ولا ناقصا في جبلها وشدة الحر واحتباس المطر مع ذلك قوى الامواج
الجبار المشرف على السهل والجبل ولولا ان امواجه تحبس عند الموضع الذي

امرها فيه بالاجناس لطبقة الدنيا حتى اذا انتهت اليه ذلت حتى خضعت وخضع انزام
وكذلك السحاب وما يحمل من الماء واتصاله بالحديقة والخليقة وذلك ان عامة شرب
الحديقة ليس من الانهار والعيون وان عظم ما شرب وثبت فيها من الاشجار و
البقول وساير النبت وما فيها من معاش الوحش والطير والدواب في البراري لا
عيون لها ولا انهار وانما هو مما هو بمطره السحاب قال ما احسبه يكون الا خافيا
واحدا الا ان احيانا تاتيني بحجة ازداد بها يقينا قلت لا ينبغي الا من قبل هليلجة
هذه واتصالها بالحديقة وما فيها من الاشياء المتصلة باسباب السماء لتعلم ان ذلك
بتقدير عالم حكيم قوي قادر قال هات اما اول ذلك فان الهليلجة تنبت في الارض
وان عروقها مولفة الى اصل والاصل معلق بساق والساق متصل بالغصون والغصون
متصلة بالورق والورق منطوية بها الاكمام فالورق مظل عليها ويظلها من الحر
والبرد متصلا بالسحاب والسحاب متصلا بالمطر والمطر متصل بالازمنة والازمنة
متصلة بسير الشمس والقمر والشمس والقمر متصلات بتقدير محكم ما بين السماء والارض
لا يقوم بعضها الا ببعض ان تاخر منها شيء عن وقته هلك ما في الارض من نبات
وهذا كله متصل بالناس سخره لهم المدبر المحكم فخلق السماء سقفا مرفوعا ولولا ذلك
لاطلع على خلقه يفرقها ولاحرقتهم بالشمس بعضها وحرارتها وبنجوم سوى تلك تعرفها
اهل السحاب فيها دلالات على ابطال ان الحواس لا يقع عليها ولا الاوهام الا للدلالة
من العزيز الحكيم القوي الذي وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا يسبحان في فلك يديرهما
بهما دايبين يطلعهما تارة ويوفلها اخرى حتى تعرف عدة الايام والشهور و
السنين ما يستانف من الصيف والربيع والشتا والخريف ازمنة مختلفة
باختلاف الليل والنهار ولو جعل احدهما سرمدا ما قام لهم معاش ابدا
فجعل مدبر هذه الاشياء وخالقها النهار مبصرا والليل سكنا واهبط فيها

الحر والبرد صيفا وشتاء مختلفين يذهب احدهما ويعقبه الاخر
ولو دام احدهما بغير صاحبه ما دامت شجرة وهلكت الحديقة
والخليقة لان متصل بالرياح والامطار من الجهات الاربع باردة
تبرد انفاسهم وحارة تلقح اجسامهم وتدفع الاذى عن ابدانهم ومعايشهم
ورطوبة ترطب طبايعهم ويبوسة تنشف رطوباتهم تنشف بها
تايلف المفترق ويفترق المتالف وبها يفترق الغمام المطبق
حتى تنبسط في السما كيف يشاء مدبره فيجعله كسفا فترى الودق يخرج
من خلاله بقدر معلوم لمعاش مفهوم وارزاق مقسومة واجال
مكتوبة ولو احتبس عن ازمنة ووقته هلكت الخليقة ويبست الحدايق
وانزل الله المطر في اوانه واوقاته الى الارض الذي خلقها لبني آدم
وجعلها فرشا ومهادا وحبسها ان تزول بهم وجعل الجبال لها اوتادا
وجعل فيها ينابيع تجري في الارض بما ينبت فيها لا تقوم الحديقة ولا الخليقة
الا بها ولا يصلحون الا عليها مع البحار الذي ذلك لهم ركوبهم ويستخرجون منها
حلية يلبسونها ولحما طريا وغيره ياكلونه ولتعلم ان الله البر والبحر والسما
والارض وما بينهما واحد حي قيوم ومدبر حكيم وانه لو كان غيره لاختلفت
الاشياء وكذلك السماء يطيب الارض التي اخرج الله منها حبا وعنبا وقضبا
وزيتونا ونخلا وحدايق غلبا وفاكهة وابا بتدبير مولف مبين بتصوير
الزهر والثمرة حيوة لبني ادم ومعاشا تقوم به اجسادهم وتعيش
بها انعامهم التي جعل الله في اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا
الى حين والانتفاع بها والبلاغ على ظهورها معاشا لهم لا يحيون الا بها وصلاحها
لا يقومون الا عليه وكذلك ما علمت من الاشياء فلا نجد جميع ما في الارض شيئا

من منطقهم وما انفهم من اولادها او نقلها الطعام اليها
وانما علمنا ان خالقها لطيف وانه لطيف بخلق اللطيف كما
سميناه قويا بخلق القوي فلان الذي جل ثناؤه وتقدست
اسماؤه اباح للناس الاسماء واوهبها لهم وقد قال القايل من
الناس للواحد واحد ويقول لله واحد ويقول قوي والله تعالى
قوي ويقول صانع والله صانع ويقول رازق والله رازق ويقول
سميع بصير وما اشبه ذلك فمن قال للانسان واحد فهذا
له اسم وشبيه والله واحد وهو اسم ولا شيء له شبيه وليس المعنى
واحدا واما الاسماء فهي دلالتها على المسمى لانا قد نرى الانسان
واحدا وانما نخبر واحدا اذا كان مفردا فعلم ان الانسان في
نفسه ليس بواحد في المعنى لان اعضاؤه مختلفة واجزاؤه ليست
سواء ولحمه غير دمه وعظمه غير عصبه وشعره غير ظفره وسواده
غير بياضه كذلك سائر الخلق والانسان واحد في الاسم وليس
واحد في الاسم والمعنى والخلق فاذا قيل الله واحد فهو الواحد
الذي لا واحد غيره لانه لا اختلاف فيه وهو تبارك وتعالى
سميع بصير وقوي وعزيز وحكيم وعليم فتبارك الله احسن
الخالقين قال فاخبرني عن قوله رؤوف رحيم وعن رضاه
ومحبته وغضبه وسخطه قلت ان الرحمة وما يحدث لها منها
شفقة ومنها جود وان رحمة الله ثوابه لخلقه والرحمة من
العباد شيئان احدهما يحدث في القلب الرافة والرقة لما
ترى بالمرحوم من الضر والحاجة وضروب البلاء والآخر ما

يحدث منا بعد الرافة واللطف على المرحوم والمعرفة منا بما نزل به وقد
يقول القايل انظر الى رحمة فلان وانما يريد الفعل الذي حدث عن
الرقة في قلب فلان وانما يضاف الى الله عز وجل من فعل ما حدث عنا من هذه
الاشيا فاما المعنى الذي في القلب فهو منفي عن الله كما وصف عن نفسه
فهو رحيم لا رحمة رقة واما الغضب فهو منا اذا غضبنا تغيرت طباعنا
وترتعد احيانا مفاصلنا وحالت الواننا ثم نجيء من بعد ذلك بالعقوبات
فسمي غضبا فهذا كلام الناس المعروف والغضب شيئان احدهما في
القلب واما المعنى الذي هو في القلب فهو منفي عن الله جل جلاله و
كذلك رضاه وسخطه ورحمته على هذه الصفة جل وعز لا شبيه
له ولا مثل في شيء من الاشياء قال فاخبرني عن ارادته قلت الارادة من
العباد الضمير وما يبدو بعد ذلك من الفعل واما من الله عز وجل فالارادة
للفعل احداثه انما يقول كن فيكون بلا تعب ولا كيف قال قد بلغت
حسبك وهي في هذه كافية لمن عقل والحمد لله رب العالمين
هدانا من الضلال وعصمنا ان نشبه شيئا من خلقه وان نشك في
عظمته وقدرته ولطيف صنعه وجبروته جل عن الاشباه والاضداد
وتكبر عن الشركاء والانداد تم ذلك وصلى الله على سيدنا
محمد واله وسلم والحمد لله على كل حال من الاحوال

التفصيل وهي راكدة لاتتحرك غير انه ربما حركت فيها ناحية
والناحية الاخرى ثابتة وربما خفقت منها ناحية والناحية
الاخرى قايمة برينا قدرته وبدلنا بفعله على معرفته فلهذا
سمي قويا القوة البسط المعروف من الخلق ولو كانت قوته تشبه
قوة الخلق لوقع عليه التشبيه وكان محتملا للزيادة وما احتمل
الزيادة كان ناقصا وما كان ناقصا لم يكن تاما وما لم يكن
تاما كان عاجزا ضعيفا والله عز وجل لا يشبه بشي وانما
قلنا انه قوي للخلق القوي وكذلك القول العظيم الكبير
ولا يشبه بهذه الاسماء الله تبارك وتعالى قال اخبرني
قوله سميع بصير عالم قلت انما سمي تبارك وتعالى
بهذه الاسما لانه لا يخفى عليه شي مما يدركه
الابصار من شخص صغيرا وكبيرا ودقيق او جليل
ولا نصفه بصيرا بلحظ عين كالمخلوق وانما سمي
سميعا لانه ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم
ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر
الا هو معهم اينما كانوا يسمع النجوى ودبيب
النمل على الصفا وخفقان الطير في الهوا لا يخفى
عليه خافية ولا شي مما ادركته الاسماع والابصار
وما لا يدركه الاسماع والابصار ما جل من ذلك
وما دق وما صغر وما كبر ولم نقل سميعا بصيرا
كالسمع المعقول من الخلق وكذلك وانما سمي

عليما لانه لا يجهل شيا من الاشيا لا يخفى عليه خافية في
الارض ولا في السماء علم ما يكون وما لا يكون ولو كان
كيف يكون ولم نصف عليما بمعنى غريزة نعلم بها كما
ان للخلق غريزة علم يعلمون بها وهذا ما اراد من قوله
عليم فعز من جل عن الصفات ومن نزه نفسه عن افعال
خلقه فهذا هو المعنى ولولا ذلك ما فصل ما بينه
وبين خلقه فسبحانه وتقدست اسماوه قال ان هذا لكما تقول
ولقد علمت انما غرضي ان اسال عن رد الجواب فيه عند
مصرف تسبيح عني ابي سايل فاخبرني لعلي احكمه فتكون
الحجة قد انشرحت للمتعنت المخالف والسايل المرتاب
او الطالب المرتاد مع ما فيه لاهل الموافقة من الازدياد
فاخبرني عن قولك لطيف للخلق للفعل ولكن قد
رجوت ان تشرح لي ذلك بوصفك انما قلت سميناه لطيفا
للخلق اللطيف وعلمه بالشي اللطيف مما خلق من البعوض
والذرة ومما اصغر منها لا يكاد تدركه الابصار والعقول
لصغر خلقه وسمعه وصوته لا يعرف من ذلك لصغره
الذكر من الانثى ولا الحديث المولود من القديم الوالد فلما راينا
لطف ذلك في صغره وموضع العقل فيه والشهوة للبقا
والهرب من الموت والجذب عن مسالة من ولده ومعرفة
بعضها بعضا وما كان في لج البحار واعيان السماء والمفاوز
والقفار وما هو معنا في منزلنا وما بينهم بعضهم بعضا

باب زيارة ابي عبدالله الحسين ع وهي اول من زارها السيد
المرتضى علم الهدى رضوان الله عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا بلغت المقتل وانت مغتسلا للزيارة فقل اذن للذين
يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون
فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم
يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون
يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر
المؤمنين قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب
والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم
ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا
يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء وانذر الناس يوم
ياتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل
قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل اولم تكونوا اقسمتم
من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين
ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم
الامثال وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان

مكرهم لتزول منه الجبال فلا تحسبن الله مخلف وعده
رسله ان الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
وبرزوا لله الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ مقرنين
في الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزي
الله كل نفس بما كسبت ان الله سريع الحساب هذا بلاغ للناس
ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا
الالباب وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون من
المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من
قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا عند الله نحتسب
مصيبتنا في سبط نبينا وسيدنا وامامنا ومولانا عز علينا
يا ابا عبدالله مصرعك هذا فريدا وحيدا قتيلا غريبا عن
الاوطان بعيدا عن الاهل والاخوان مسلوب الثياب
معفرا في التراب قد نحر نحرك وخسف صدرك واستبيح
حريمك وذبح فطيمك وسبي اهلك ونهب رحلك تقلب
يمينا وشمالا وتجرع من الغصص اهوالا لهفي عليك لهفا نا
وانت مجدلا على الرمضاء لا تستطيع خطابا ولا رد جوابا فجعت
بك نساؤك وولدك واحتز راسك من جسدك لقد
صرع بمصرعك الاسلام وتعطلت الحدود والاحكام واظلمت

الايام وانكسفت الشمس واظلم القمر واحتبس الغيث والمطر
واهتز العرش والسماء واقشعرت الارض والبطحا وشمل
البلا واختلف الاهواء وفجع بك الرسول فلعن الله على
من جار عليك وظلمك ومنعك الماء واهتظمك وعذبك
وخذلك وغدرتك والب عليك وقتلك ونكث عهدك
وبيعتك ووعدك واخلف ميثاقك وعاون عليك
ضدك واعتصب بفعالم حدك وسلام الله ورضوانه
وبركاته وتحياتك عليك وعلى الاتقيا من ذريتك النجبا
من عترتك انه حميد مجيد وصل الله على محمد واله الطاهرين
ثم استاذن قبل الدخول وقل يا مولاى يا اباعبد الله يابن
رسول الله عبدك وابن امتك الذليل بين يديك والمعترف
بحقك جاءك قاصدا الى حرمك مستجيرا بك متوجها الى
مقامك متوسلا الى الله تعالى بك يابن رسول الله عبدك
وابن امتك المقر بالرق والتارك للخلاف عليك والموالي
لوليكم والمعادي لعدوكم قصد حرمك واستجار بمشهدك
وتقرب الى الله تعالى بقصدك ء ادخل يا رسول الله ء ادخل
يا نبي الله ء ادخل يا امير المومنين ء ادخل يا سيد الوصيين
ء ادخل يا فاطمة الزهرا سيدة نساء العالمين ء ادخل يا ابا
محمد الحسن ء ادخل يا اباعبد الله ء ادخل يا مولاي ء ادخل

واليك

ابن

يابن بنت رسول الله فان لم اكن اهلا لذلك فانت اهلا لذلك
يا سيدي اتاذن لي في الدخول الى حرمك صلى الله عليك
والك ء ادخل يا ملائكة ربي المحدقين بهذا الحرم المقيمين
في هذا المشهد فان خشع قلبك ودمعت عيناك فهو
علامة الاذن ثم ادخل رجلك اليمنى وقل بسم الله وبالله وفي
وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلعم ثم قل الله اكبر الله
اكبر الله اكبر واكثر من البكاء والخشوع حتى تصل القبر فاذا
وصلته فقف عليه بسكينه ووقار وقل ازور سيدي
ومولاى الحسين ابن علي لو بحو بها قربة الى الله ثم قل السلام
على شعيب ولي الله وخيرته السلام على ادريس القايم بحجته
على نوح المجاب دعوته السلام على هود المويد من الله
بمعونته السلام صالح الذي توجه اليه بكرامته السلام
على ابراهيم الذي حباه الله بخلته السلام على اسمعيل الذي
فداه الله بذبح من جنته السلام على اسحق الذي جعل الله
النبوة من ذريته السلام على يعقوب الذي رد الله عليه
بصره بعد ما عماه السلام على يوسف الذي نجاه الله
من الجب بعظمته السلام على موسى كليم الله الذي
فلق الله له البحر بقدرته السلام على هرون الذي
خصه الله تعالى بنبوته السلام على شعيب النبي

على آدم صفوة الله في خلقه السلام

على ع

على من نكثت ذمته السلام على من انتهكت حرمته وحرمه
الاسلام في اراقة دمه السلام على المغسل بدم الجراح
السلام على المجرع كاسات مرارات الرماح السلام على
المضام المستباح السلام على المهجور في الورى السلام
على المنفرد بالعرا السلام على من تولى دفنه اهل القرى
السلام على مقطوع الوتين السلام على المحامي بلا معين
السلام على الشيب الخضيب السلام على الخد التريب السلام
على البدن السليب السلام على الثغر المقروع بالقضيب
السلام على الودج المقطوع السلام على الراس المرفوع
السلام على الشلو الموضوع السلام عليك يا ابا عبد الله
ورحمة الله وبركاته ثم تومي الى القبر وانت متوجه اليه وتقول
السلام عليك يا ابن رسول الله السلام عليك يا ريحانة رسول
الله السلام عليك يا خامس اهل العبا السلام عليك ايها
الدرجة العليا السلام عليك يا ابن الاخرة والاولى السلام
عليك يا ابن فاطمة الزهرا السلام عليك يا ابن كلمة التقوى
السلام عليك يا تاج الشهداء السلام عليك يا ثاني
الحسن المجتبى السلام عليك يا سيد الغربا السلام عليك
يا ابن خديجة الكبرى السلام على جدك محمد المصطفى السلام
عليك وعلى ابيك سيد الاولين السلام عليك وعلى عمك

صاحب الجناحين الطاير في جنة العلا السلام عليك
وعلى اخيك المفضل في جنان الماوى قد بان لك في فضلك
واعلا على كل مفخر سوددك وسما على محتد محتدك
اشهد ان عريكتك لم تلن بلى في زخارف الدنيا ولا وهت
شيمك لحوادث المنا ولا كنت طالبا ما يطلب الطالبون
وتكالب عليه المترفون ما كنت الا طالبا من يطلب
ودافعا عنك كيد اعدائك لا كما تقول الظالمون المعاندون
انك طلبت الامر واعلنت المكر كذب من ادعى ذلك
وافترى بل انت الامام المقصي المقتضى اليه العلم
ولقد اقسمت لو انك في صخرة فقلبوها حتى يخرجوك
منها فلما ابوا الا قتالك قاتلت غير مقند ولا مبتد
فلما كاثروك قدمت ولدك وقرابتك لما لم تجد من
ذلك بدا حتى رايت مصارعهم واستوفيت اجر الثاكلين
بهم ثم كافحت المنية صابرا محتسبا نفسك سمحا بمهجتك
حتى وجد في ثيابك التي تلي جسدك ثلثمائة من طعنة
وضربة وموضع سهم الى ان اثخنت بالجراح وضعفت
يمينك عن حمل السلاح وملت عن سرجك غير طائش
القلب وذا هل اللب وانت غير تارك لذكر الله وتلاوة
كتابه وهم يطلبون منك ثار عتبة وشيبة والوليد

كل
بلين

عند جدك وابيك وعمك يوم بدر صلوات الله عليك
يا قائد الشهداء الى الجنة صلوات الله عليك يا الله لقد تعرفت
بك المصارع لقد جمعتهم في اعلا عليين قتلتم بالسيف
عنوة غيلة ويريدون نور الله بافواههم والله متم نوره
ولو كره الكافرون اجسام متفرقة وارواح مجتمعة غايبون
غيبة الموتى ترزقون رزق الاحيا هنيا لك ايتها الصديق
الاكبر والفاروق الاعظم بما منحك الله من الصبر وكتب
لك من الثواب والاجر رحمك الله من نصرك وضاعف
لك ولهم من الاجر ما نقلتم اليه من الجور ولقاكم اياه من
النظرة والسرور ثم ارفع راسك الى السما وقل اللهم يا من خص
الحسين بالكرامة ووعده بالشفاعة وخصه بالوصية
واعطاه علم ما مضا وما بقى وجعل افيدة من الناس
تهوى اليه اغفر لي ولاخواني وزوار قبر ابي عبد الله
الحسين عليه السلام الذين انفقوا اموالهم واشخصوا
ابدانهم رغبة في برك ورجاء لما عندك في صلة سرور
ادخلوه على نبيك واجابة منهم لامرك وغيظا ادخلوه
على عدوك وارادوا بذلك وجهك فكافهم عنه الرضوان
واكلاهم بالليل والنهار واخلف على اهاليهم واولادهم
الذين خلفوا باحسن الخلف واصحبهم واكفهم كل جبار

عنيد وكل ضعيف من خلقك او شديد ومن شياطين
الجن والانس واعطهم افضل ما املوا منك في غربتهم عن
اوطانهم وما اثروا به ابناءهم واهاليهم واقرباءهم اللهم
اعداءهم عابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن الشخوص
وخلافا منهم على من خالفهم فارحم لذلك الوجوه التي
غيرتها الشمس وارحم تلك الخدود التي تقلبت على حفرة
ابي عبد الله وارحم تلك الاعين التي جرت دموعها رحمة لنا
وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت وارحم تلك
الصرخة التي كانت لهم اللهم اني استودعك تلك
الانفس وتلك الابدان حتى توافهم على الحوض يوم الفزع الاكبر
ثم ضع خدك الايمن على القبر وقل اشهد انك على بينة من
ربك جيتك مقرا بالذنوب اشفع لي عند ربك يا ابن
رسول الله ثم ارفع راسك الى السما وقل بابي انت وامي
يا ابا عبد الله اليك كانت رحلتي واليك كان سفري
ولك فاضت عبرتي وعليك كان اسفي ونحيبي وصراخي
وشهيقي وزفيري واليك كان عزمي وبك استتري
من عظيم جرمي اتيتك زائرا وافدا قد اوقرت الذنوب
ظهري بابي انت وامي يا سيدي بكيتك يا خيرة الله
وابن خيرته وحق لي ان ابكيك وقد بكتك السموات

اسست اساس الظلم والجور عليكم اهل البيت اشهدانی
سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم مبطل لما ابطلتم محقو
لما حققتم فاشفع لي يا مولاى عند الله ربي وربك
فی خلاص رقبتی وقضاء حوائجي للدنيا والاخرة وصلوات
الله عليك ورحمة الله وبركاته ثم تحول الى جانب القبر
وترفع يديك وتقول اللهم ان استغفاري اياك وانا مصر
على ما نهيت عنه قلة حياء وتركي الاستغفار مع سعة
حلمك مضيع لحق الرجا اللهم ان ذنوبي تايسني ان ارجو لك
وان علمي بسعة رحمتك يؤنسني ان اخشاك فصل على
محمد وال محمد ممن لا يبسط كفه الا اليك اللهم الان
التقى من قنط وامامه التوبة وخلفه الرحمة وان كنت
ضعيف العمل فانی فی رحمتك قوى الامل فهب لی
ضعف عملى لقوة املى اللهم امرت فعصينا ونهيت فما
انتهينا وذكرت فتناسينا وبصرت فتعامينا وحذرت
فتعدينا وما كان هذا جزاء احسانك الينا وانت اعلم
بما اعلنا وما اخفينا واخبر بما لم نات وما اتينا فصل
على محمد وال محمد ولا تواخذنا بما اخطأنا فيه ونسينا وهب
لنا حقوقك لدينا وتمم احسانك الينا واسبغ نعمك علينا
اللهم انا نتوسل اليك بهذا الامام الصديق ونسالك

بالحق الذي جعلته له ولجده رسولك ولابويه على وفاطمة
اهل بيت الرحمة ادرار رزقك الذى هو قوام حياتنا وصلاح
دنيانا واحوال عيالنا فانت الكريم الذى تعطى من سعة و
تمنع من قدرة ونحن نسالك من خير ما يكون صلاحا
للدنيا وبلاغا للاخرة واتنا فی الدنيا حسنة وفی الاخرة
حسنة وقنا عذاب النار برحمتك يا ارحم الراحمين ثم تحول عند
الرجلين وتقول السلام عليك وعلى الملئكة المرفرفين حول قبتك
الحافين بتربتك الطائفين بعرصتك الواردين لزيارتك
السلام عليك فانی قصدتك ورجوت الفوز لديك السلام
عليك سلام عارف بحقك وحرمتك مخلص فی ولايتك
المتقرب الى الله بمحبتك البرئ من اعدائك السلام عليك
يا ابا عبد الله الحسين سلام من قلبه بمصابك مقروح و
دمعه عند ذكرك مسفوح سلام من قلبه بمصابك
مقروح ودمعه عند ذكرك المفجوع المحزون الواله المستكين
سلام لو كان معك بالطفوف لوقاك بنفسه من حد
السيوف وبذل حشاشته دونك للحتوف وجاهد
بين يديك ونصرك على من بغا عليك وفداك بنفسه وروحه
وماله وولده وروحه لروحك فدا واهله لاهلك وقا فلئن اخرتنی
الدهور وعاقنی عن نصرك المقدور ولم اكن لمن حاربك

محاربا ولمن نصب لك العداوة مناصبا فلاندبنك صباحا
ومساء ولابكين عليك تحسرا وناسفا على ما دهاك
وتلهفا حتى اموت بلوعة المصاب وغصة الاكتياب
اشهد انك اقمت الصلوة واتيت الزكوة وامرت بالمعروف
ونهيت عن المنكر والعدوان واطعت الله وما عصيته
وتمسكت بحبله فارضيته وخشيته وارقبته واستجبته
وسننت السنن ودعوت الى الرشاد واوضحت سبيل الجهاد
وجاهدت في الله حق الجهاد وكنت لله طائعا ولجدك
محمد متابعا ولقول ابيك سامعا ولوصية اخيك مسارعا
ولعماد الدين رافعا وللطغيان قامعا وللطغاة مقارعا
وللطغاة مقارعا وللامة ناصحا وفي غمرات الموت سابحا
وللفساق مكافحا ولحجج الله وللاسلام ناصحا وللمسلمين
راحما وللحق ناصرا وعلى البلاء صابرا وللدين كافيا و
عن حوزته مراميا وعن الشريعة محاميا تحوط الهدى
وتنصره وتبسط العدل وتنشره وتنصر الدين وتظهره
وتكف العابث وتزجره وتاخذ للدني من الشريف و
وتساوي في الحكم بين القوي والضعيف كنت ربيعا
للايتام وعصمة للانام وعزا للاسلام ومعدنا للاحكام
وحليفا للانعام سالكا طريق جدك وابيك مشبها في

الوصية لاخيك وفي الذمم رضي الشيم مجاهدا في العبادة
في حندس الظلم قويم الطرائق كريم الخلائق عظيم السوابق
شريف النسب منيف الحسب رفيع الرتب كثير المناقب محمود
الضرائب جزيل المواهب حليما رشيدا عليما سديدا اماما
شهيدا اواها منيبا مهيبا كنت للرسول ولدا وللقرآن
سندا وللامة عضدا وفي الطاعة مجتهدا حافظا
للعهد والميثاق باذلا للمجهود طويل الركوع والسجود زاهدا
في الدنيا زهد الراحل عنها ناظرا اليها بعين المستوحشين
منها امالك عنها مكفوفة وهمك عن زينتها مصروفة
والحاظك عن بهجتها مطروفة ورغبتك في الاخرة معروفة
حتى اذا ما الجور مد باعه واسفر الظلم قناعه ودعا
البغي اتباعه وانت في حرم جدك قاطنا وللظالمين
مباينا جليس البيت والمحراب معتزلا عن اللذات والاحنا
تنكر المنكر بقلبك ولسانك على حسب طاقتك وامكانك ثم
اقتضاك العلم للانكار واردت ان تجاهد الكفار فسرت انت
واهلك واولادك وشيعتك ومواليك وصدعت بالحق
والبينة ودعوت الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وامرت
باقامة الحدود واطعت المعبود ونهيت عن المنكر والخنا
والطغيان واجهوك بالظلم والعدوان فجاهدتهم بعد